

رابندرانات
تاجور
مسرحية
تشيترا
وقصص أخرى
مقدمة بقلم:
دكتور ثروت عكاشة
وزير الثقافة
تعريب:
خليل جرجس خليل
٢ - مطبوعات صوت الشرق - ١٩٧٠

إهـــــــداء 2005

الكاتب الإعلامي/ فاروق خورشيد
القاهرة

للسيد الأديب والناقد والإذاعي الجهير
الأستاذ فاروق خورشيد مدير إذاعة الشعب
أقدم هذه الصفحات من أدب تاجور الإنساني،
تقديراً لمشاركاته الملحوظة في التأليف القصصي
والنقد الأدبي، مع
مودتي وتقديري
[signature]
٢٦/٨/١٩٧٠

تشيترا

وقصص أخرى

لشاعر الهند

رابندرانات تاجور



نقلها إلى العربية

خليل جرجس خليل

الطبعة الأولى
١٩٧٠

CHITRA
AND OTHER STORIES
BY
RABINDRANATH TAGORE

Arabic First Edition : 1970



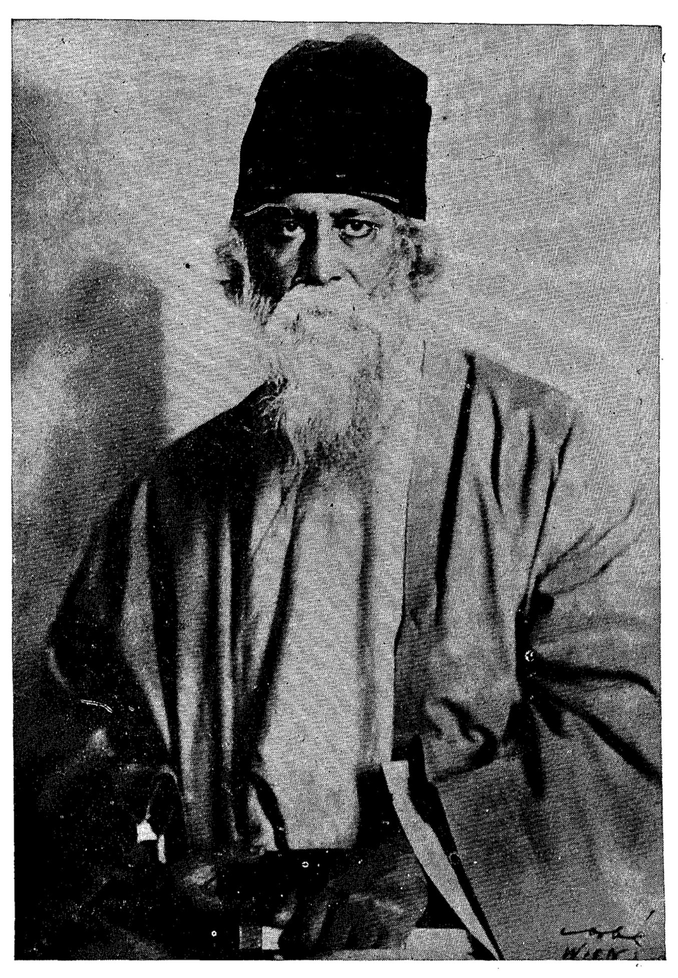
Rendered from English into Arabic by :
KHALIL G. KHALIL
Editor of «Sawt-Ul-Shark»
CAIRO

«SAWT-UL-SHARK» Publications, Book No. 2

الغلاف بريشة الفنان : سعد
الخطوط بريشة الفنان : حسن يوسف

فهرس

صفحة



● تاجور فى عام ١٩٢٦ أثناء جولته التاريخية فى أوربا .

مقدمة

بقلم الدكتور ثروت عكاشة
وزير الثقافة في الجمهورية العربية المتحدة



« تاجور » شاعر فيلسوف من أعلام الادب الهندى ملأ الدنيا وشغل الناس وترك فى كل الاسماع والقلوب أثرا لايمحى ولايزول ، فانتاجه الادبى الشعرى بلغ درجة عالية من السمو ، وارتفعت نبرته من المعانى والافكار ، وازدان بأجمل التعبيرات وأحلى البيان ، حتى لم يدع قلبا الا نفذ اليه ، ولم يلق وجدانا دون أن يخلف فيه بقية من رنينه وأنينه فى آن معا ٠ ولهذا لم يقتصر أثره على أبناء الهند وحدهم ، ولم ينل اعجاب مواطنيه فحسب ، وانما تخطى حدود بلاده وخرج على الاقليمية المحدودة ، وحقق دويا هائلا لاسمه فى كافة بقاع العالم ، حتى حظى باعجاب الجميع وحاز شهادة القاصى والدانى ، بما بلغه فنه الشعرى من اصالة وروعة ٠

ورابندرانات تاجور من مواليد كلكتا بالهند سنة ١٨٦١ ٠ عاش ثمانين سنة كاملة حقق فيها الكثير وأنتج أثناءها عددا من دواوينه الشعرية الهامة مثل « قربان الاغانى » و « أغانى المساء » و « رسوم وأناشيد » ، وكلها من الاعمال الشعرية الرفيعة ذات الشأن فى عالم الادب ، لانها تميزت بالشاعرية الروحية الصادقة والاخلاص الفنى ، مع الايمان والوطنية العميقة ، فاستحق لذلك كله جائزة نوبل التى نالها سنة ١٩١٣ ٠

وقد عرفت اللغة العربية بعض أعمال هذا الشاعر فى ترجمات نشرت بمختلف بلاد الشرق الاوسط ٠ وتناول الكثيرون أعماله بالتحليل بعد أن قدموها لتعريف قرائنا بها واطلاعهم عليها ، مما جعل اسمه قريبا من قلوب الكثيرين ببلادنا ووضع نتاجه الادبى والفكرى موضع الالفة والحب والتقدير ٠

★★★

واليوم يزودنا الاديب الشاعر الاستاذ خليل جرجس خليل بعدد من قصصه ومسرحياته القصيرة ليضع بين أيدينا ترجمة طيبة أمينة لهذه الاعمال التى لا تزال مجهولة فى لغتنا العربية ٠ وقد اهتم الاستاذ المترجم باختيار هذه الاعمال الادبية لييسر على

القارىء العربى معرفة هذا الجانب من جوانب تاجور ·· وهو جانب لايزال بحاجة الى جهود كثيرة من أجل تزويد أدبنا ولغتنا بهذه الزهرات اليانعة التى اختارها من انتاجه ·

على ان الشاعر «تاجور» من الادباء الذين استطاعوا أن يعبروا عن أبسط المشاعر الانسانية مما قد لا يلتفت اليه الآخرون ، لانه تميز بهذه النزعة الانسانية واندفع تحت تأثيرها الى توضيح بعض المواقف النادرة فى حياة البشر ذات الطابع الفريد · ومن هنـــا كانت قصصه صدى لتجارب عميقة ولفتات نادرة مليئة بالحيـــاة والقوة على الرغم من بساطتها ·

ولا يعنى هذا أن تاجور يخص الواقع وحده باهتمامه ، لانه يذهب ايضا الى حد استغلال الخيال استغلالا فنيا عاليا ، ويحقق فنية الادب فى أوضح صوره ويجيـــد استعماله كأداة تحقق من الافكار ما يبذل الآخرون الكثير من أجل توضيحه واستجلائه · وهذا ما يتضح من المسرحية القصيرة الاولى التى تصور هـــذا العمل ، حيث يشير الى الحقـــائق الواقعية بأسلوب رمزى ملىء بالايماء والاشارة ، واننا لنشيد بهذا الجهد الذى بذله الاســـتاذ خليل جرجس خليل فى تعريف القراء العرب بهذه الاعمال القصصية لتاجور ، ونمتدح جهده الموفق فى تقديمها بالأسلوب الأدبى الممتع، والعبارة الجميلة السلسة التى تجتذب القراء ، وتدفعهم الى الاقبال على أدب هذا الاديب العالمى ، والمشاركة فى أحاسيسه وملاحظاته الانسانية البسيطة العميقة التى كان لها أجمل الاثر فى قلوب القراء، وتجعلهم يشعرون بالروابط البشرية العميقة التى هى غاية كل أدب ممتاز جاد ·

★★★

والاستاذ خليل جرجس خليل شاعر اديب له نشاطه الثقافى فى الاوســـاط الادبية منذ سنوات طويلة ، وعرف بدأبه على تعريف الادباء العرب بالمعالم الادبية والثقافية فى الهند · وهو فضلا عن ذلك عضو بلجنة الشعر وشاعر له احساسه الخاص الذى ييسر له التفاهم والتقارب مع رابندرانات تاجور، ويمكنه من ادراك الهمسات واللمسات فى غضون عبـــاراته فيؤديها لنا باللغة التى تتفق مع ما لأصلها من مكانة وما لكاتبها من وضع فى الادب الهندى خاصة، والادب العالمى عامة ·

ونحن نقدر للأستاذ المترجم هذا الجهـــد الطيب الذى بذله فى هذه الترجمات الادبية الطريفة ، ونهيب به أن يعرفنا أكثر فأكثر بهذه الالوان الفنية المجهولة ·

القاهرة : يوليو ١٩٧٠ — ثروت عكاشة

تاجور

بقلم الزعيم الراحل
جواهر لال نهرو

ترى كيف يقع رابندرانات تاجور فى حسبان شباب هذا الجيل ، وأية صورة يحملونها لهذا الابن العظيم الذى أنجبته الهنـد ، والذى صاغ تفكير ، وأعمال ، عدة أجيال ؟

اننى أنتمى لجيل عابر كان يتمتع بأسمى قسط من امتيازات المعيشـة ، خلال تلك الفترة التى تلقت فيها عقولنا وحيواتنا الالهام من نور تاجور المتعدد الجوانب .

وماذا كان هو ؟ ـ أكان شاعرا صاحب الهام ، وأحلام ، أم مغنيا ، أم فنانا وموسيقيا ، أم مؤلفا مسرحيا وممثلا ، أم روائيـا وكاتب مقالة ، أم معلما وتربويا ، أم قوميا وعالميا ، أم فيلسوفا ورجل عمل ؟. حتى هذا السجل الموجز لجوانب حياته وتعدد مواهبه لا يفى بأكثر من صورة متواضعة لمـا كان عليه !..

ان لنـــا من كلماته وأغانيـــه لسحرا ، فاحدى هذه الاغنيات أصبحت نشيدا قوميا جميلا لنا ، وهى أغنية « جانا جانا مانا »..

★★★

ولسوف تستمد الاجيال المقبلة الالهام مما كتب ومن قصـــة حياته . وستحسبه رجلا على شاكلة معلمى هذه الارض القدماء ، الذين كانوا يأتون الينا من حين لآخر ليجددوا شـــبابنا ، ويبثوا القوة فى نفوسنا ، وينتشلونا من الوهدة الثابتة الضيقة ، التى تحتوى عادات تفكيرنا وسلوكنا .

لكن ، هل سيتذكرون هذه الرسالة ؟ هل سيتصرفون بوحى من تعاليمه ..؟

★★★

لقد لعبت أسرة تاجور دورا ضخما ، فى شتى حركات الاصلاح فى البنغال خلال القرن التاسع عشر ٠٠ وكان فيها رجال لهم من عظمة الروح شأن كبير، وكتاب وفنانون ممتازون. لكن رابندرانات بزهم جميعا وسما عليهم ٠

والحق أن مركزه قد عرفته الهند على اختلاف أنحائها ، وقدرته باعتباره مركزا فريدا لا يبارى ٠

وهو لم يكن من رجال السياسة ، لكنه كان شديد الولاء والاخلاص لحرية الشعب الهندى ، فقد كرس نفســه من أجل أن يظل الشعب ــ دوما ــ داخل البرج العاجي لشعره وأغانيه ٠ وكثيرا ما كان يخرج منه المرة تلو المرة عندما كان يحدث أمر من الامور لا يملك احتماله ، كما أنه كان يحذر الحكومة البريطانية أو يحذر شعبه بلغة رسول من الرسل ٠

وكان تاجور ، علاوة على ذلك ، معلما ومحبا للحرية ، لم يكف قط عن السعى لتحرير عقولنا ونظامنا الاجتماعى من الاغلال التى كبلتها ٠٠ ومع أنه كان هنديا فى أعماقه ، وأنه كان يستلهم تربة الهند وفكرها ، الا أنه كان فى الحقيقة مواطنا عالميا ، وكانت قوميته تطابق أوسع مجالات الدولية ٠

واننا لنرى فيه أجود مزيج للفكر والعمل ٠ فقد لعب دورا بارزا فى حركة «سواديشى» ، وتنازل عن رتبة السير (التى نالها عام ١٩١٥) ، زمن المظالم الوحشية الرهيبة التى شهدتها « جاليا نوالا باغ » بأمرتسار عام ١٩١٩ ٠

★★★

وقد جعل جهده العظيم ، الذى بدأ فى صمت ، من شانتنكيتان واحدا من أعظم مراكز الثقافة الهندية ٠

ففى شانتنكيتان ، نرى مثله الأعلى يتشكل شيئا فشيئا ، مؤديا به الى تأسيس جامعة فسفابهاراتى ٠ وبالقرب من شانتنكيتان ، أصبحت شرينكيتان أيضا تجسيدا للدفعة العميقة التى أحس بها ــ وهى مشكلة الريف الهندى ٠ ويمم وجهه للحياة فى القرى ٠ وهناك حاول أن يجرب سياسته الاجتماعية لكى يساعد القرويين فى اقامة نظام اجتماعي جديد ٠

وبمرور الاعوام نما ارتباطه بشرينكيتان وعملية اعادة بنــاء الريف ٠ ذلك لان فكرته عن الهنــد أصبحت تضــاهى فكرة سكان ريفنا العريض الذين ينمون عقلا وجسدا ٠

ولقد كان تأثيره على العقلية الهندية عظيما للغاية ٠ ولم تتأثر بكتاباته اللغة البنغالية فحسب ، وهى التى كتب بها ، وانما تأثرت به أيضا كافة لغات الهند ٠





السيدة إنديرا غاندى رئيسة الوزراء فى الهند الآن ، مع
الشاعر تاجور فى جامعته الشهيرة فى « شانتى نكيتان »

وقد عمل ، أكثر مما عمل أى هندى سواه ، على ربط أفكار الشرق بأفكار الغرب ، وتوسيع رقعة القومية الهندية ٠

ولقد كان الابن الدولى الرئيسى للهند الذىعمل من أجل التعاون الدولى ، ناقلا رسالة الهند الى الاقطار الاخرى ، وجالبا رسالة هذه الاقطار الى شعبه ٠

وأيا كان الامر فقد كانت قدماه ، على الدوام مغروستين تماما فى تربة الهند ، بكل ما ملك من مجالات دولية ٠ وكان عقله حافلا بحكمة الاوبانيشاد (الكتب القديمة المقدسة فى الادب السنسكريتى)

وهو قد ترك لنا الكثير فى عالم الفكر ٠ لكنه لم يكن كاتبا أو مغنيا منعزلا عن العالم ٠ ذلك لانه كان رجلا مهتما أبلغ الاهتمام بنهضة بلادنا وشعبنا ، ومكرسا جهوده لهذه النهضة ٠ كما خلق لنا شانتنكيتان فسفا بهاراتى وشرينكيتان ، وهى الاطفال العملاقة أو المنارات والصروح التى أنجبها فى عقله ، وكذلك صور نشاطه ، والمعابد التى تعبد فيها ٠

واننا لن ننسى البتة أغانيه وكتاباته ، واذا نحن أردنا أن نخلص له ولرسالته فاننا سنواصل العمل لأداء هذه الرسالة ٠٠ لكى نرى شانتنكيتان وشرينكيتان مزهرتين مورقتين ٠

★★★

ولما كنت عميدا لجامعة فسفا بهاراتى ، فانى الآن افتتح رصيد هذه الذكرى المئوية لعمادة رابندرانات تاجور ٠ والقصد من ذلك العمل على مواصلة رسالته فى شانتنكيتان وشرينكيتان ، وهكذا حتى نقوم بدفع الاتاوة المفروضة علينا فى العمل والخدمة ، فليكن ذلك سبيلا من السبل التى نعبر بهـــا عن ولائنا ومبايعتنا لذكرى المعلم ٠ غير أن الولاء والمبايعة لا يعنيان بالنسبة لنا الا أن نتذكر رسالته ، وأن نشارك ونعمل فى سبيل نهضة الهند ، كما أخبرنا بذلك فى لغته الجميلة ٠

(من خطبة له فى جامعة فسفا بهاراتى)



(CHITRA)

تشـــيترا

على مســــــارح القـــاهرة

قدمت مسرحية « تشيترا » بالانجليزية مرة مع بداية سنة ١٩٥٥ ، ومرة سنة ١٩٦١ فى منـاسبة الاحتفال بالذكرى المئوية لميلاد مؤلفهـا شـاعر الهند رابنـدرانات تاجور · وقام بأداء الادوار فى المرتين بعض أعضاء نادى الخريجين الجامعيين قسم اللغة الانجليزية بالقاهرة ·

وكان تقديمهـا فى المرة الأولى على مسرح معهـد الموسيقى العربيـة بالقاهرة ، وأشرف على التمثيل الاذاعى الشهير الاستاذ محمد فتحى ، وكان رئيسـا لنادى الخريجـين ، وتولى الاخراج الاسـتاذ حسن لطفى المنفلوطى ، ومثـل دور « تشيترا » الآنسـة نادية توفيق نان ، ودور « أرجونا » الاستاذ ناجى شاكر (أو كمال) ، ودور «مادانا» الاستاذ عبد الله عبد الحافظ ، ودور « فاسانتا » الاستاذ سامى سمعان ، ودور القروى الاستاذ نجيب أمين · وعاونت فى اعداد الديكور والازياء الفنانة السيدة نازك حمدى وسيدات الجالية الهندية ·

واعرابا عن نجاح المسرحية ، تقدم كل من المستشار الاستاذ محمد فتحى رئيس مجلس ادارة المعهد وقتئذ ، واللواء الدكتور أحمد توفيق عضو مجلس الادارة بباقات من الورد الى نجوم المسرحيـة ، مع تحية الجمهور ·

وفى المرة الثانية ، قدمت بهذا النظام على مسرح الجمهورية بالقاهرة ، ونالت كل استحسان ·

•••••••••

تشـــيترا

فى البرنامج الثقـافى بالاذاعة العربية

قدم البرنامج الثانى باذاعة الجمهورية العربية من القاهرة ، يوم ٢٦ مارس سـنة ١٩٥٨ ، لأول مرة ، تمثيلية « تشيترا » مذاعة على مدى سـاعة باللغة العربية من اعداد المعرب على النحو الذى يراه القـارىء هنا ·· وأعيدت اذاعتها بعد ذلك على فترات حتى الآن ·

ويشترك فى التمثيـل كل من : الفنـانة سـميحة أيوب فى دور « تشيترا » ، وجـلال الشرقاوى فى دور « أرجونا » ، وكرم مطـاوع ونظمى رزق فى دورى اله الحب واله الشباب « مادانا » و « فاسانتا » وسعيد حسن وعبد الفتاح غبن فى الادوار التالية ·

وتولى الاخراج الفنان الاستاذ محمود مرسى ·



● مشهد من مسرحية « تشيترا » عنـدما مثلت على مسرح معهد الموسيقى العربية بالقاهرة ، بالانجليزية ، سنة ١٩٥٥ وقد أدت دور البطلة تشيترا الآنسة هيلين (الى اليسار) وأدى دور أرجونا السيد ناجى ..

تشــيترا

مستوحاة من التراث الهندى الملحمى

هذه التمثيلية الشعرية فى الاصل البنغالى ، بلغة المؤلف « البنغالية » ، وضعت منذ ثمانين عاما (١٨٩١ م) ، وفكرتهـــا بنيت علي لقطة مأخوذة من وقائع الملحمة الهندية الكبرى « المهابهاراتا » وهى على النحو التالى :

بينما كان البطـــل « أرجونا » يذرع الآفاق وفاء بنذره للآلهة ، توقفت خطاه فى مقاطعة « مانيبور » الهنـدية · هناك رأى « تشيترا نجادا » ، الابنة الحسناء لملك المقاطعة « تشيترا فهانا » ، واذ أخذ بسحر جمالها ، راح يخطبهـا الى ابيها ويطلب يد ابنته للزواج ·

فلما سأله عمن يكون ، وذكر له أنه أرجونا الذى ينتمى الى « البندارا » ، أخبره الملك بأن احد أجداده من الاسرة الملكية التى تحكم مقاطعة « مانيبور » لم يرزق ذرية لفترة طويلة ، ولكى يحصل على وريث من صلبه ، نذر للآلهة نذرا قاسيا · وسر الالاه شيفا بهذا النذر الذى قسا به صاحبـه على نفسه فى سبيل تحقيق مبتغاه ، فمنحه البركة ليكون هو وخلفه منجبين ذرية ·· كل يرزق طفلا ··

وحدث عقب ذلك أن كل واحد من هذه الذرية كان ابنـــا ذكرا كسابقه بلا اختلاف ، فيما عداه هو فقد كان أول من رزق ابنة لمجرد أن يتحقق الوعد الالهى القديم بامتداد السلالة ، وهذه المولودة هى « تشيترا نجادا » · واضطر والدها الملك من أجل ذلك أن يعاملها كفتى وليس كفتاة ، وأن يعدها لتكون وريثا له ·

★★★

وبعد أن أفشى الملك أمام البطل هـــذا السر بتفاصيله ، استرسل مخاطبا اياه :

ـ وعلى ذلك فان المولود الذى تجىء ابنتى به هو امتداد لنسلى وعاصم من انقراض الأسرة الملكية · واذا كنت أوافق على زواجها بك ، فليكن الوليد المنتظر هو المقابل الذى أحصل عليه ، واذا أردت فانى ادعها لك ، على هذ الشرط ··

ووافق أرجونا على شرط الملك وتعهـــد بذلك ، واتخـذ تشيترا نجادا زوجة له ، وأقاما معا فى عاصمة الملك مدى ثلاث سنوات · ولما ولد ابنهما ، كان لابد للبطل أن يبر بوعده،

فعانق زوجته وودعها بحرارة، واستأذن والدها فى الرحيل، وتركهما وعاد يذرع الآفاق وحيـدا مواصـلا تقديم كفارته ونذره هو الآخر للآلهة ...

★★★

(هذه هى الفكرة التى أوحت الى المؤلف أن ينطلق منها الى آفاق تمثيلية « تشيترا » .. أما هذه التمثيلية الشعرية فتختلف فى كل وقائعها ، وفى خاتمتها ، ولا تأخذ من التراث الملحمى القديم الا الفكرة المجردة .. ان البناء والفن والمسحة الشاعرية واللمسة العبقرية كلها من صنع صاحبها الذى لا يضارع) .

أبطال المسرحية

- **مادانا** : (أو ايروس اله الحب) ..

- **فاسانتا** : (ليكوريس اله الفصول والشباب) ..

- **تشيترا** : ابنة ملك « مانيبور » (مقاطعة بالهند) ..

- **أرجونا** : أمير من بيت « الكورو » الملكى ، وهو من « الكشاتريا » أو طبقة المحاربين الخاصة ، وفى اثناء حوادث الرواية كان فى عزلة ، يعيش متنسكا فى جوف الغابة ..

- **قرويون** : من اقليم بعيد ، خارج منطقة مانيبور ..

تشيترا : مسرحية فى عدة مشـــاهد

المشـــهد الاول

تشيترا : ألست أنت الاله ذا السهام الخمسة ، اله الحب ؟

مادانا : نعم ، أنا هو المولود الأول فى صـــميم قلب الخـــالق الأعظم .. أسعد حياة الرجال والنساء ، أو أربطهم بروابط الالم .

تشيترا : أعرف هذا .. أعرف ماهو ذلك الألم ، وما هى تلك الروابط . وأنت ؟ .. من أنت أيها السيد ؟

ڤاساتنا : أنا صديقه ڤاساتنا ، ملك الفصول والحياة .. ان الموات والذبول يطوقان العالم حتى الفناء ، ولكن لا أفتأ أتعقبهما وأطردهما .. اننى الشباب الدائم !

تشيترا : انى أنحنى لك خاشعة .. أيها الاله ڤاساتنا .

مادانا : ولكن أنت .. ما الذى يشغل بالك أيتها الحسناء ؟ لماذا تدعين شـــبابك يذبل وتتركينه نهبا للعـــذاب والكدر ؟ .. ان مثل هذه التضحية لا تتلاءم مع طبيعة الحب . من أنت ؟ وما هو دعاؤك ؟

تشيترا : أنا تشيترا ، ابنة البيت المالك فى « مانيبور » .. ان الاله شيفا قد تعطف على صاحب الجلالة الملكية بوعد الهى ، أن ينعم عليه بنسل ذكر يحفظ للبيت المـــالك الرفعة والجـــلالة ، وينتهى اليـــه الملك والسلطان ، ولكن الكلمة الالهية لم تغير اتجاه شرارة الحياة الكاملة فى رحم أمى .. فجئت فى صورة امرأة ، وان كانت لى طبيعة الفتيان الأشداء !

مادانا : أعلم ذلك .. وهذا هو السبب الذى لأجله نشـــأك والدك نشأة الفتى لا الفتاة ، وعلمك استخدام القوس والصولجان ، وقلدك مهام الملك .

تشيترا : أجـــل ، وهـــذا هو السبب الذى جعلنى أرتدى زى الرجال ،

وأخرج من الخـــدر الذى تحتجب دونه المرأة •• وليس لى دراية بشىء من حيل النساء لكسب قلوب المحبين •• يداى قد اعتادتا حمل القوس ، ولكنى لم أتعلم من كيوبيد الرماية ، حين يسلط السهام من عينيه !

مادانا : وهل ذلك يحتاج الى علم أو دراسة أيتها الحسناء ؟! •• ان العين تعمل عملها من غير تعليم ، والمحب يعرف من أصابه السهم ، ومن نفذ السهم الى فؤاده ••

تشيترا : أذكر ذات يوم وأنا أبحث عن شىء ألهو به ، أنى تجولت وحدى فى الغابة حتى وصلت الى شـــاطىء نهر « بورنا » •• ثم نزلت عن جوادى وشددت وثاقه الى جذع شجرة ، ومشيت بين فرجة فى الغابة هيأها الغزال ليأوى اليها ، تؤدى الى طريق متعرج يتسلل بين الأشجار الكثيفة ، حيث الظلام المخيم ، ونقيق الضفادع الذى تهتز له أوراق الشجر •• وانى لأفضى الى هذا المكان ، اذا بى أجدنى فجـأة أمام رجل يضطجع على وسادة من الحشائش والأوراق المتساقطة •• وكان بموضعه ذاك يعترض طريقى ، فنهرته آمرة اياه أن يتحول جانبا، ولكن خطابى لم يحرك منه ساكنا ، فغمزته فى تشف بطرف قوسى المدبب •• واذا هو يقفز منتصبا بأعضائه الفارعة الضخمة ، كلســان من اللهب يمتد على حين غرة من كومة من الرماد ! ••

ولعبت ابتسامة مرحة على جوانب فمه •• وربما كان ذلك لرؤيته اياى بملامح الفتى ، حينئذ ، لأول مرة فى حياتى ، شعرت بأنى امرأة ، وأحسست بأن هناك رجلا يقف أمامى ! •

مادانا : اننى فى اللحظة المناســبة ألقن الرجل والمرأة هـــذا الدرس الأزلى ليعرف كل منهما طبيعته ، والآن ، ماذا حدث بعد ذلك ؟

تشيترا : لقد سألته وأنا فى دهشة وخجل « من أنت ؟ » فقال « أنا ارجونا ، من أسرة كورو المشـــهورة » فتجمدت فى مكانى كالتمثال ، ونسيت حتى أن أنحنى له محيية •• هل هذا هو حقا أرجونا ، فارس أحلامى

العظيم ؟ •• أجل ، لقــد سمعت من وقت بعيد كيف أنه نذر اثنتى عشرة سنة من عمره يقضيها فى عزوبة ، كم من مرة تمنيت فى صــغرى أن أمتشق حربتى وأنازله متحدية فى معركة بينى وبينه •• حتى أبرهن له على مهارتى وأنا أقف ضده فى كامل عدتى وسلاحى •• ســلاح العدوان والتظاهر ! أواه ، ياللقلب الســاذج المسكين ! أين ذهبت خفقاتك ؟ هل أستطيع أن أعود الى حــداثة عهدى لأبدل من خطتى وأخرج عن تنكرى ومكابرتى ، وأنزل عن كل حقوقى وأبهتى لألثم التراب الذى تحت قدميه فى طلب رضاه ؟ • اذن لأعددت ذلك أعظم نعمة فى حياتى كلها ! ••

لم أدر فى أية دوامة سبحت بخيالى وتفكيرى ، وعنــدما تمالكت نفسى كان هو قد غاب عن ناظرى فجأة ، واختفى بين الاشجار ! ••

ياللمرأة الغبية ! ما استطاعت حتى أن تحييه ، ولا أن تنطق بكلمة، ولا أن تناشده الصفح عما بدر منها ، بل وقفت كالتمثال لا تعى شيئا، بينما هو يمضى مزدريا بها !•

لقد بادرت فى صبيحة اليوم التالى،فنحيت عنى ملابسى التى تظهرنى فى شكل رجل ، ووضعت سوارا فى معصمى وقدمى ، وقرطا فى أذنى، وحزاما حول خصرى ، وارتديت ثوبا مطرزا بالخرز الأحمر •• وكان هذا الملبس الذى لم أعتده يكاد يذيبنى حياء ويصبغ وجنتى بحمرة الخجل ، ومع ذلك تمالكت ارادتى وسارعت أبحث عن رغيبتى ، حتى وجدت « أرجونا » فى معبد شيفا •• فى قلب الغابة •

مادانا : قصى على قصتك الى النهاية • أنا اله الحب ذو القلب الخفاق ، وأنا أعرف أسرار هذه النوازع •

تشيترا : لست بمستطيعة أن أذكر بوضوح كل ماقلته ، ولا ما أجابنى به • فلا تطلب الى يامولاى أن أروى كل شىء •• لقد احتوانى الخجل وانقض على كالصــاعقة الماحقة ، وان كنت لســوء حظى لم أتحطم وأصبح شظايا •• وبقايا ! وصرت ، أنا التى اتخذت مظهر الرجل ، لا أقوى على النطق !



ناجى (إلى اليمين)
فى دور أرجونا يستمع إلى
حديث البطلة تشيترا
فى المسرحية التى مثلت
بالانجليزية فى القاهرة
سنة ١٩٥٥

وكانت كلماته الأخيرة التى وجهها الى وأنا عائدة الى القصر ، وهى تخترق أذنى كوخز الابر هى قولتــه : « لقد نذرت أن أكون أعزب .. انى لا أصلح لأن أكون زوجا لك ! »

نذر من رجل ! .. لا شك أنك على علم به .. انك آله الحب .. الذى فى سبيله يأتى عدد لا يحصى من الحكماء والعقلاء الذين تتوجهم هالات من المزايا والصفات ، ويضحون بحيواتهم عند قدمى امرأة ! ..

لقد كسرت قوسى قطعتين ، وألقيت بسهامى فى النــار .. كرهت قوتى وذراعى المدربة وزهدت فى رسم وتر القوس ! .. أيها الحب .. بل ياإله الحب ، ألست أنت قد وضعت فى طبيعتى الترابية الفانية هذه الكبرياء الجوفاء والمباهاة بالقوة المماثلة لقوة الرجل ، ثم صار كل تدريبى هباء عند قدميك ؟ .. فالآن لقنى دروســك .. امنحنى القوة التى تنبعث من الضعف الأنثوى الفــاتن ، وسطوة الســلاح السحرى الذى تلوح به اليد الناعمة التى لا تحمل سلاحا !

مادانا : سأكون لك كالصديق المخلص .. سآتى بالبطل أرجونا الذى يقهر العالم ، أسيرا مهزوما أمامك ، لينال جزاء تمرده من يديك .

تشيترا : لو يتاح لى الوقت الكافى لظفرت بقلبه فى النهاية ، شيئا فشيئا ، من غير حاجة الى عون الآلهــة .. ان خطتى هى أن أقف الى جانبه كخدن حميم ، أقود جياده الجامحة التى تجر مركبته الحربية ، وأتيح له فرصا يستمتع فيها بالطرد والقنص ، وأقف بالليل للحراسة عند باب خيمته ، وأعاونه فى كل المهام العظيمة التى ينهض بها ، باعتباره أحد أفراد « الكشاتريا » المحاربين وأتنصف للضعيف وأنشر العدالة فى مواضعها .. اذا اتبعت هذه الطريقة فسيأتى بلا شك اليوم الذى فيه يلتفت الى ويناجى نفسه مأخوذا : « أى فتى هذا ؟ .. هل قام أحد من عبيدى فى سابق عهدى بمثل هــذه الأعمال الممتازة التى يصنعها باخلاص ؟ » لست أنا المرأة التى تجتر همومها فى وحدتها القاتلة ، وتغذيها بساجم الدموع فى الليل ، وتغلفها فى النهار بالصبر المصطنع

والابتسامة الخداعة . ان الزهرة النامية فوق رغبيتى لن تسقط على الأرض قبل أن تثمر ثمرها .. ولكن ... وا أسـفاه ! .. انه عمل طويل وبرنامج يستغرق تنفيذه العمر كله ، ليفعل فعله فى فؤاد بطل واثق من نفسه ، قوى جبار كهذا البطل .

ولذلك جئت الى بابك ، أيها الحب الالهى القهار ، واليـك أيها المولى ڤاساتنا ، اله الفصول الدائم الشـباب .. لتخلصـا جسدى الصغير من قسمته غير العـادلة التى فطر عليهـا ، وحظه الضئيل من الجمال والجاذبية ... اجعلانى لمدة يوم واحد آية من آيات الجمال .. اعطيانى يوما واحدا قصيرا أبدو فيـه صـورة كاملة من الجمال الأخاذ .. وسأتولى الرد بنفسى بعد ذلك ، فيما يلى ذلك من أيام !

مادانا : أيتها العذراء ، انى أهبك ماسألتنيه ..

ڤاساتنا : لا لمدة يوم واحد لا غناء فيه ، بل مدى عام كامل تبدين فى ربيع دائم ، والسحر الذى تبدو فيه براعم الربيع النفاحة يكسو أعضاءك ويصبغ وجنتيك ، ويطل من عينيك ! ..

(موسيقى انتقالية)

المشـــهد الثانى

أرجونا : رباه ! .. أكنت أحلم أم أن ذاك الذى رأيته عنـد البحيرة كان حقيقة ؟! .. لقـد كنت أجلس على طرف الشط المعشوشب أسـبح بفكرى عبر السنين ، وأتابع بناظرى ظلال الأصـيل التى تتمدد على الخضرة أو تتراقص على صفحة الماء .. واذا بى أرى من خلل الظلمة المخيمة ظلال تمثال من الجمال العجيب فىصورة امرأة مكتملة الحسن، تهادت مقبلة حتى وقفت فوق صخرة بيضاء عند طرف الماء . لقد خيل الى أن قلب الأرض قد رقص طربا تحت قدميها العاريتين .. بل خيل الى أن الغلائل الرقيقة التى تحتضن جسدها المرمرى تكاد تذوب فى الهواء من فرط الرقة والنشوة ، كما يذوب ضباب الفجر الذهبى من دفء الخيوط الوضاءة المطلة من المشرق . وانحنت حوريتى تنظر فى مرآة البحيرة اللامعة ورأت فيهـا هالة وجهها ، ثم نصـبت قامتها الفارعة ووقفت ساكنة ، ثم .. ابتسمت . هل أقول ابتسمت ؟ .. بل لم لا أقول افتر ثغر القمر ! ابتسمت ، ومدت ذراعهـا اليسرى بغير اكتراث ورجلت شعرها وتركتـه يتمسح بالأرض عنـد قدميها .. وكشـفت عن خصرها ونظرت الى ذراعيهـا فى تناسقهما البـديع ، واستدارتهما الرائعة .. وحنت رأسها تتـأمل شـبابها الذى يتفجر حيوية وجاذبية ، وجسمها البض الذى يشبه الزهرة الريانة المتوردة، فبدت جذلانة تتألق بالفتنة وتزهو بالجمال .. ترى لو أنهـا جاءت بعقد من زهرات اللوتس الأبيض الـذى يشـبه عينيها المتفتحتين ، وطوقت بها جيدها العاجى عند ايذان الصباح ، ونظرت الى ظلها فى الماء ، أكانت تنسى صورتها هذه ويومها ذاك مدى الحياة ؟!

ولكنى رأيتها بعد لحظة قد زايلت وجهها الابتسامة ، وزحفت الى عينيها مسحة من الأسى ، وما لبثت أن جمعت جدائل شعرها وربطتها من جديد ، وغطت ذراعيها بطرف ثوبها ومضت فى تراخ ، وغابت عن



● « تشيترا » و « أرجونا » فى مسرحية تاجور « تشيترا » مثلهما سنة ١٩٦١ بالقاهرة الهاويان « هيلين » و « ناجى » .. للمرة الثانية

عينى كأمسية حلوة غيبها الليل فى أطوائه الكثيفة ! ان الواقعة كلهـا فيما يبدو لى ليست الا خيالا من الخيال ، أو حلما من أحلام اليقظة صـورة للوهم أو جنون الرغبة فى صورة طيف ملم أو حسناء من دم ولحم ، ثم مالبثت أن ذابت وتلاشت ! •• ولكن •• من يكون هذا الذى يدفع على الباب ؟!

(تدخل تشيترا ، متخذة فى هذا المشهد زى امرأة) ••

آه ! •• انها هى ، فى زى امرأة ! لا تخـاف منى ياسـيدتى ، أنا كشاترى من جماعة المحاربين ••

تشيترا : أيها السيد المبجل • أنت ضيفى •• اننى أقيم هنا فى هذا المعبد انى لا أدرى أى طريق أسلكها لأقوم بواجب الضيافة !

أرجونا : سيدتى الحسناء •• ان اكتحال العينين بمرآك هو فى الواقع أقصى حدود الضيافة والكرم •• وأنا أود أن أوجه اليك سـؤالا اذا كنت لا تعدين هذا تطفلا منى ••

تشيترا : لك هذا •

أرجونا : ترى أى نذر هذا الذى يحبسك فى هـذا المعبد المنعزل ، فيحرم جميع الناس من أن يجتلوا فى صورتك هذا الجمال الرائع !

تشيترا : انى أطوى بين جوانحى أمنية لا أبوح بها ، وأنا أقـدم كل يوم أدعياتى للاله شيئا عسى أن يحققها لى •

أرجونا : ياللعجب ! •• ماذا يمكن أن تتمنيه على الاله يامن أنت أمنيـة العالم أجمع ! •• من أقصى قمة فى الشرق حيث تمد شمس الصـباح قدميها الساحرتين ، وتوشيها بخيوطها الذهبية ، الى أقصى بقعة لمغرب الشمس ، قد حملتنى قدماى ، وصادفت كل ماهو نفيس ، وجميل ، وعظيم مما يحويه الكون •• وهذه خبرتى وخدمتى رهن باشـارتك •• يكفى أن تذكرى لى عم تبحثين ، أو عمن تسألين ؟

تشيترا : ان الذى أبحث عنه معروف للجميع •

أرجونا : حقا ؟! .. من هذا المحظوظ الذى حبته الآلهة برضاها ؟ . أية شهرة له تلك التى استهوت فؤادك ؟!

تشيترا : انه سلالة أعلى بيت من البيوت الملكية ، انه بطل أعظم من جميع الأبطال .

أرجونا : ياسيدتى ، لا تجودى بمثل هذا الغنى الفائق فى الجمال الذى تنفردين به من أجل اشاعة زائفة لا تستند الى حقيقة . ان الشهرة الزائفة تنتقل من لسان الى لسان ، كضباب الفجر الذى يغشى الكون قبل أن تبدده اشراقة الشمس . خبرينى من هو هذا البطل العظيم الذى ينحدر من سلالة أعظم الملوك ؟

تشيترا : أيها الناسك ! .. يخيل الى أنك تغار من شهرة الآخرين .. ألا تعلم أنه لا يوجد فى الدنيا كلها أعظم أو أشهر من بيت « الكورو » الملكى ؟

أرجونا : بيت الكورو ! ..

تشيترا : أولم تسمع بالاسم العظيم الذى يتردد كلما ذكر اسم هذا البيت الذائع الصيت ؟!

أرجونا : من شفتيك أنت أرجو أن تسمعينى اياه ..

تشيترا : انه أرجونا .. أرجونا .. الذى أخضع الدنيا . لقد التقطت هذا الاسم الخالد من أفواه الجمع الحاشد وأخفيته بعناية فى فؤادى الأنثوى .. أيها الناسك ، مالى أراك مضطربا ؟ أترى هذا الاسم ليس الا خداعا من الخداع البراق ؟ تكلم ، قل هذا فلا أتردد فى أن أمزق شغاف قلبى ، وألقى بمكنونه فى الرغام ! ..

أرجونا : بل أبقى على اسمه وعلى شهرته ، على شجاعته وعلى بسالته الزائفة أو الحقيقية . باسم الرحمة التى تتمثل فيك لا تخرجيه من قلبك .. انه مستعد أن يجثو الآن عند قدميك (يركع) .

تشيترا : أنت ، أرجونا ؟

أرجونا : أجل ، أنا هو ، الضيف الذى يطلب زاد الحب عند بابك ..

تشيترا : اذن ليس بصحيح أن أرجونا قـد قطع على نفسـه عهدا أن يظل أعزب مدى اثنتى عشرة سنة ؟

أرجونا : ولكنك أحللتنى الآن من هذا العهد ، كما يحل القمر الليل من أن تلفه الظلمة بأستارها الكثيفة الثقيلة ..

تشيترا : ياللعار ! .. ماذا رأيت فى حتى صرت تغالط نفسـك ؟ .. عمن تبحث وراء هاتين العينين السوداوين ، وهاتين الذراعين البيضاوين كاللبن ، فتقدم لها الثمن على حساب عهدك الذى قطعته على نفسك ؟ ليس ذلك لشخصى ذاته ، فيما أعتقد ! .. ويقينا ليس هذا هو الحب .. ولا يمكن أن يكون هذا هو الاخلاص الحقيقى من الرجل للمرأة .. وا أسفاه ! .. ان هذا المظهر الخارجى ، هذا الهيكل ، قد يضلل الانسان فلا يستطيع أن يرى الضوء المنبعث من الروح الخـالد .. نعم ، لقد أدركت الآن يا أرجونا حقا ، أن شهرتك وبطولتك وعظمتك ليست الا مظاهر زائفة !

أرجونا : انى أعلم كم هى عبث من العبث .. هذه الشهرة ، هذه البطولة المتشامخة ! .. ان كل شىء يبدو لى الآن كحلم .. أنت وحدك هو الحقيقة . أنت ثروة هذا العالم ! .. أنت الخلاص من كل فقر وحاجة .. أنت غاية كل مطلوب ونهاية كل جهد .. أنت المرأة الوحيدة !
كل النساء الأخريات لا تكاد الواحدة منهن تتميز عن أختها فى نظر من يراهن . أما أنت فان من يراك لحظة واحدة فكأنما يرى الكمال المجسم ، الى الأبد !

تشيترا : واحسرتاه ! .. انى لست أنا ، لست أنا يا أرجونا . أنه خـداع من صنع الآله ، اذهب أيها البطل .. لا تجر وراء سراب . لا تقـدم قلبك العظيم الى أوهام ، اذهب ..

(موسيقى انتقالية)



● مشهد تمثيلى أقيم فى العاصمة الهندية ضمن مهرجان الفنـون الذى يقام سنويا فى نيودلهى وتشترك فيه الوفود الفنية من سائر الولايات الهندية

المشــهد الثالث

تشيترا : لا ، لن يكون هذا .. هل أظل أواجه منه هذه النظرات الحارة التى تطوقنى كما تطوقنى أشواق روحه الكامنة بين جنبيه ، وأشعر بقلبه وهو قلق فى صدره يحاول أن يحطم الضلوع ويجهر برغباته المتقدة التى يخفيها فى أعماقه ، ثم أنحيه عنى مع ذلك كما ينحى المستجدى الذليل ؟ لا ، لا يمكن ! ..

(يدخل مادانا وفاسانتا)

تشيترا : (تستمر) آه ، يا اله الحب ! .. أى لهيب مروع هذا الذى نفخته فى وحقنتنى به ! .. انى أحترق ، أحترق وأحرق كل شىء ألمسه ..

مادانا : انى أريد أن أعرف منك ماذا حدث ليلة أمس .

تشيترا : لقد كنت عند المساء مضطجعة أفترش الحشائش المتناثرة وأوراق الزهر المبعثرة . ورحت أستعيد فى خيالى العبارات الرقيقة التى أطرى بها جمالى ، عندما التقيت بحبيبى أرجونا فى النهار .. وجعلت أتذوق ذلك المشهد وأترشف قطرة قطرة ما اختزنته منه طوال ذلك اليوم الهنىء . ان تاريخ حياتى الماضية كلها .. بل تاريخ وجودى كله قبل ذلك اليوم قد نسيته تماما ! .. واستشعرت فقط بشعور الزهرة الحالمة التى تطل على الدنيا بعينى جمالها .. وليس لها سوى سويعات سريعة الدوران تصغى فيها الى مايتناهى الى سمعها من مناجاة الثناء ودعاء الاطراء ، وتمتمات الاعجاب وهمسات الأصحاب والأحباب ، من الشجر والأغصان ومن الطير والغزلان، وهى فى مقعدها ذاك متصدرة مجلسها فى قلب الغاب ، ثم .. ثم تخفض عينيها وتهبط من عليائها وتحنى رأسها فوق صدرها ، وتسلم أنفاسها الأخيرة ، وتستسلم للتراب .. للعدم ، بلا صراخ ولا ضوضاء .. هكذا تنتهى القصة القصيرة للحظة التاريخية اليتيمة التى ليس لها ماض ، ولا مستقبل !

ثاساتنا : ولكن المجد ببهائه الفائق وحياته التى ليس لها نهاية ، قد يتفتح ويذوب فى كيان صبح بهيج ..

نشيترا : (تواصل وصف ماوقع لها) كانت نسائم الجنوب تتهادى الى ، تهدهدنى وتقربنى من النوم .. القبلات الصامتة المحمولة على جناح النسيم من زهرات « مالاتى » ذات الورود والأشجار والرياحين ، تغمر جسدى ، وتسكن عند جوارحى .. فوق شعرى، فوق صدرى، فوق قدمى .. كل زهرة تختار لها موضعا من بدنى ترقـد عنـده ! وأخيرا .. أغفيت ، وفجـأة بينما كنت فى نومى العميق ، أحسست بنظرة مشبوبة كأنها أصابع من لهب تمس جسدى الساكن، فاستيقظت، واذا بى أرى ذياك المتعبد واقفا أمامى ، وكان القمر قد انحدر نحو الغرب ، وزحفت خيوطه من بين أوراق الشجر لتشهد هـذه الطلعة المهيبة الباهرة التى تبدو فى اطار انسان ! .. كان الهواء محملا بالعطر الفواح ، وسـكون الليل لايمـازجه الا حفيف الأغصان أو نقيق الضفادع .. وظلال الأشـجار المرتسمة فوق صفحة الماء فى البحيرة ثابتة لا تتحرك ولا تختلط ، وقف الرجل وفى يده عصـاه .. وقف بقامته الفارعة وعوده المعتدل وقوامه البديع ، كأنه شجرة عتيدة فى غابة مسحورة . لقد خيل الى وأنا أفتح عينى فى تلك اللحظة أنى قد مت وماتت معى كل معالم الحياة ، وتحولت الى حلم ولد لتـوه فى أرض عجيبة تلفها الظلال . وسرت موجة من الخجل فى قدمى كالخجل الذى ينتاب الحسناء عندما يتكشف الثوب عن بدنها تحت العيـون المتطلعة .. وما لبثت أن سـمعته ينـادينى « حبيبتى .. ياحبيبتى الغالية .. » ورأيتنى أستعيد وعيى كله وأجمع فى أنفاسى المبهورة حياتى المطوية كلهـا ، وأندفع نحوه ملبية نداءه ، قائلة ، « لبيك ! خذنى اليك .. خذ كل مافى ، خذ كل مالدى » .. ومددت نحوه ذراعى ، وغطى القمر وجهه خلف الأشـجار ، وخفى كل شىء تحت ستار من الظلام .. وامتزجت السـماء والأرض ، الزمان والمكان ، السرور والألم ، الموت والحياة .. امتزجت جميعا فى نشوة لا يحيط بها الوصف ! ..

ومع أول خيط من النــور ، وأول تغريدة من أغاريد الطيــور ، قمت ، واعتمدت بجسمي على ذراعي اليسرى ، وكان هو نائمــا لم يستيقظ بعد ، وعلى فمه ابتسامة مرتسمة حول شفتيه ، كما يرسم القمر ابتسامته على وجهه بدرا وضاح الجبين !•• وكان شعاع الفجر الوردى يصبغ جبهته النبيلة •• وتنهدت ، ثم قمت •• وقاربت بين الأوراق المتدليــة لأجعل منها غطاء يقى وجهه من أشــعة الشمس ، ونظرت حولى ، ورأيت الأرض القديمة ذاتها ، فتذكرت كل شيء ، ووجدتنى أركض فى الغابة بكل قوتى ، كنت أعدو مثل ظبية خائفة من ظلهــا هى ! •• وأخيرا جلست عنــد ركن متطرف ، وغطيت وجهى بكفى ، وأردت أن أبكى أو أصرخ ، ولكن الدموع استعصت على عينى !

مادانا : مسكينة أنت ، يا ابنة الفناء ! •• لقــد سرقت من المخزن الالهى خمرة الســماء المعتقة ، وملأت بها ليــلة من لياليــك على الأرض ، ووضعتها فى يدك كى تشربى • وهاأنذا الآن مع ذلك أراك تصرخين، وتجأرين بالشكوى !

تشيترا : (بمرارة) من التى شربتها ؟! •• لقد قدم الى الظل دون الأصل السراب دون الشراب •• صورة الحياة ذاتها ، طرف من الجمال وذرة من الكمال ولمحة من البهاء والجلال ، فأين أنا من هذه الآفاق ؟! •• بداية الحب قد لاحت لربها ، وطرحتنى فى أتونها ، ولكن الحب ذهب من قبضتى ! •• هذا الجمال المستعار •• هذا القنــاع الزائف الذى يلفنى ، سيذهب عنى آخذا معه التذكار الوحيد لهذا اللقاء السعيد •• تماما كما تتساقط البراعم من الزهرة المتفتحة ! وستجلس المرأة الموتورة المهجورة المتعطلة من الحسن والزينــة تنــدب حظها وتجتر حسراتها ليل نهار •• يا اله الحب ، ان هذا المظهر اللعين يطاردنى مثل الشبح ويسلبنى كل بهجة من مباهج الغرام والهيام •• كل القبل التى يضطرم قلبى شوقا اليها !

مادانا : وا أسفاه •• لقد ذهبت ليلتك الفريدة هباء وضاعت سدى ! •• ان



تاجور سنة ١٨٨٣
- في شبابه - على
المسرح يؤدي دور
البطل في مسرحية
"راما يان" التي وضعها
الفيلسوف الهندي
« فالميكي »

سفينة السرور كانت بحيث تراها العين ، ولكن الأمواج لم تمكنها من أن تمس الشاطىء !

تشيترا : ان السماء كانت قريبة من يدى حتى أنى نسيت فى لحظة ما أنها لم تصل الى ، ولكنى عندما استيقظت من حلمى فى الصباح وجدت أن جسمى هو خصمى الأزلى ! •• انه لمن أبغض الأشياء أن أحمل هذه الصورة كل يوم ، وأن أرسلها الى حبيبى ، وأن أرى بشرتى يقبلها دونى ! •• أيها الاله •• رد اليك هبتك لى ، واقبضنى اليك !

مادانا : اذا أنا استعدت هذه الهبة وجردتك منها ، فكيف تستطيعين أن تقفى أمام حبيبك ؟ ألا يكون من القسوة أن تطيحى بالكأس بعيدا عن شفتيه فى الوقت الذى استطاع فيه بالجهد أن يتذوق منها أول قطرة من السعادة ؟ أى قدر من خيبة الأمل تنزل به فى هذه الحالة من جراء تغريرك به وعقوقك اياه ؟!

تشيترا : سيكون هذا أفضل مما أنا فيه ، ومما أعانيه ! •• سأكشف له حينئذ عن ذاتى الحقيقية •• سأكون فى حال أشرف من هذا الخداع والتنكر •• أما اذا نبذنى وأعرض عنى ، وازدرانى وحطم قلبى ، فسأحمل نصيبى وأمضى ، فى سكون وصمت ••

قاساتنا : اصغى الى نصيحتى يابنية •• عندما يحل الخريف وينقضى فصل الأزهار يأتى دور الثمار وينتصر اللباب على القشور •• سيأتى الوقت بطبيعة الحال ، الذى تذبل فيه من الجسم زهراته اليانعات ، وسيسر أرجونا اذ يرى الثمار الحقيقية التى تبدين بها عندئذ •• أيتها الطفلة ، عودى الى أفراحك •• عودى الى مهرجانك الصاخب ••

(موسيقى انتقالية)

المشهد الرابع

تشيترا : لماذا ترقبنى هكذا أيها البطل ؟

أرجونا : أنا أرقب كيف تضفرين هذه الأعواد العطرية الشميم ! .. المهارة والرشاقة .. التوأمان الأخ والأخت ، يتراقصان ويتحاوران بين أطراف أصابعك . انى أرقب . وأفكر .

تشيترا : وفيم تفكر يا سيدى ؟

أرجونا : انى أفكر فى أنك ربما استطعت ، بهاتين اليدين البديعتين الرشيقتين ، أن تضفرى من أيامى التى أقضيها فى المنفى ، اكليلا لا يفنى تتوجين به رأسى عندما أعود الى البيت ..

تشيترا : البيت ؟! .. ولكن هذا الحب ليس مكانه البيت ! ..

أرجونا : ليس مكانه البيت ؟

تشيترا : لا .. لا تتكلم فى هذا . خذ الى البيت ما هو دائم ، ثابت ، قوى .. دع الزهرة البرية الصغيرة حيث ولدت .. دعها فى ثوب جمالها ولا تطلب منها ما ليس فى مقدورها المحدود ، دعها تواجه مصيرها وتموت فى نهاية الأيام بين سائر البراعم الذابلة والأوراق المتصوحة . لا تأخذها الى صحن دارك لتطرحها فوق الأرض الصلبة الجافة التى لا تعرف الرفق بالأشياء التى تضمحل وتنسى بعد قليل ...

أرجونا : وهل حبنا من هذا النوع ؟

تشيترا : نعم !.. ليس غير هذا !!.. لماذا تأسف ؟ ان الذى كان وقفا على الأيام الخاملة ، يجب أن يظل موقوتا بها ووقفا عليها .. انه لا ينبغى أن تكتب له أية حياة بعيدا عنها .. ان السرور ينقلب الى ألم عندما يجد الباب الذى سيخرج منه قد أوصد دونه ! .. حسبك أن تأخذ بحظ مما بدا لك .. اغنم وانعم واغترف منه حتى ينفد ، ولكن

لا تسل لماذا نفد ، ولا تأس على أنه انتهى •• خذ من ليلتك كفايتك، ولا تجعل أمسيتك تتخم بأكثر مما يتطلبه الصباح •• يكفى أن تتزود فى يومك بالزاد الذى لا يفيض عن حاجتك ، حتى لا ينتابك الخوف، أو الجشع وحتى لا تفسد سعادة الحاضر وهناءة الساعة التى أنت فيها ••

حبيبى •• ضع على كتفك هذا العقد الذى صنعته لك بيدى •• لقد تعبت ، خذنى بين ذراعيك ، ياحبيبى العظيم ، دع كل هذه المخاوف والأفكار التى تنغص عليك سعادتك ، دعها تغرق فى لقاء عارم من شفاهنا الظمأى ••

أرجونا : هس • هل تسمعين أيتها الجميلة ؟ •• ان صوت أجراس المعبد فى القرية البعيدة يتسلل الينا عبر نسيم المساء ، من بين الاشجار الساكنة !••

(موسيقى انتقالية)

المشهد الخامس

قاساتنا : انى لا أستطيع أن اجاريك فى طريقتك ياصديقى . لقد تعبت ! انه لعمل مرهق ذاك الذى يفرض على أن أحافظ عليها حية متوهجة .. ان النوم يتغلب على والمروحة تكاد تسقط من يدى ، وتيارات الريح البـاردة تحدق بالنار وتتغلب على ضرام الوقود ! .. لقـد قاومت النعاس ، واستيقظت من اغفائى فى لحظة الخطر، وبذلت أقصى جهدى لكى أنقذ هذه الذبالة الضعيفة الباقية .. بيـد أن هـذا لن يدوم طويلا ..

مادنا : أجل ، انى أعرف هذا ، ان سلطانك متقلب كالطفـل . ان عدم الاستقرار من طبيعتك .. انه لعبتك وسـلوتك فى السماء وعلى الأرض !.. الأشياء التى تقيمها وتعـلى بناءها فى أيام عديدة تعود فتحطمها فى لحظة قصيرة غير آسف على ماصنعت يداك ! ومع ذلك فان هذا العمل الذى عملناه معا انما هو على وشك الانتهاء .. ان أيام السعادة المجنحة تذهب مسرعة ، والعام .. الذى يوشـك أن ينهى آخر أيامه ، ويغيب فى نعيم لانهاية له !

(موسيقى انتقالية)

المشهد السادس

أرجونا : (بمفرده على المسرح) لقد استيقظت فى الصباح فوجدت أن أحلامى قد تمخضت عن درة نادرة .. ولكن ليس لدى غطاء لأحيطها به ولا تاج لأرصعه بها ، ولا سلسلة لأقيدها بحلقاتها .. وهأنذا محير .. ليس عندى الجرأة على أن أقذف بها بعيدا ! .. ان يمينى ، أنا الكشاترى المحارب ، قد شغلت بالامساك بها والحرص عليها ، ونسيت واجباتها الأولى !

(تدخل تشيترا)

تشيترا : حدثنى عن أفكارك ياسيدى ..

أرجونا : ان ذهنى مشغول اليوم بفكرة الصيد .. أنظرى كيف تتدفق الأمطار غزيرة فوق التلال ، والظلال القاتمة التى ترسلها السحائب تجثم ثقيلة فوق الغابة .. والجدول المتضخم ، الذى يشبه الفتى الطائش ، يقفز من مكان الى مكان ويتخطى الحدود ضاحكا ساخرا ! .. فى مثل هذه الأيام الممطرة كنا نذهب نحن الأخوة الخمسة الى «الشيتراكا» حيث نصطاد وحوش الغاب، تلك كانت أياما جميلة !. كانت قلوبنا ترقص على أنغام السحائب الجياشة ! الغابات تردد الصدى عند استغاثة الطواويس التى تقع فى الفخ .. والغزال المتهيب لا يستطيع أن يتنبه لوقع أقدامنا ونحن نقترب منه .. ان الصوت يضيع بين خرير الأمطار وهدير المياه .. والفهود تهجر أجحارها عندما تبتل الأرض فنستدل على مرابضها .. وعندما ننتهى من رياضتنا ، يحض كل منا الآخر على أن يقطع مجرى الماء سباحة ونحن عائدون الى البيت .. كنت دائم التنقل والحركة .. لا أهدأ . ما أشد اشتياقى الى الصيد !

تشيترا : كنت أود أن تستمر فيما أنت آخذ فيه من وصف لتقول لى

هل أنت موقن أن الغزال النافر الذى تتعقبه وتحتال لاصطياده ، من الحتم أن يصطاد ، لا ، لست أظن .. ان الصيد يستهويك كما يستهويك الحلم عندما يزورك فى أول الليل . أنظر كيف تعصف الريح وفى أعقابها المطر المجنون الذى يسدد نحوها آلاف السهام .. ثم تمضى مطلقة الجناح لم تغلب على أمرها ! أن رياضتنا التى هويناها أحكامها كهذه الأحكام أيها الحبيب !.. انك تتعقب الحسن كلما لاح لك ، وتسدد نحوه كل سهم يمكن أن يأسر .. كل سهم تملكه يداك .. ثم يذهب الغزال السحرى مع ذلك مطلقا لم يمسه أحد !

أرجونا : أيتها الحبيبة .. أليس لك بيت تترقب فيه القلوب المحبة عودتك ؟ .. بيت قد ملأته بظرفك ورقتك بهجة وايناسا يوما ما . ثم زايله النور وخيم عليه السكون منذ تركته لتقومى بهذه الجولة البعيدة والمغامرة الفذة ؟.

تشيترا : ولم هذه الأسئلة ؟ هل انقضت ساعات السرور التى لاتوصف ؟ ألا تعلم أنه ليس لى أكثر مما رأيته أمامك ؟ انى لم أتطلع الى ماوراء هذا الذى أنا فيه . ان قطرة الندى التى ترصع طرف الزهرة عند الفجر ليس لها اسم وليس لها كيان أو غاية .. وهى لاتعطى جوابا عن أى سؤال .. هكذا كانت التى أحببتها ، انها مثل عقد منظوم من قطر الندى !

أرجونا : أليس لها رابطة تربطها بالعالم ؟! هل يمكن أن تكون مجرد قطعة من السماء سقطت على الأرض بفعل الاه يتلهى ويعبث ؟

تشيترا : نعم !.

أرجونا : آه .. فلهذا اذن يخيل الى دائما أنى أكاد أفقدك !.. قلبى غير مطمئن وعقلى لا يعرف السلام .. تعالى قريبا منى أيتها المخلوقة التى لايمكن امتلاكها !.. أحيطى نفسك بالسياج الذى يحمل الاسم والبيت والأهل .. اجعلى فؤادى يشعر بك فى كل جزء من أجزائه ويحيا معك فى سلام الحب الذى لا خوف عليه !

تشيترا : لمـــاذا تبدى هذا الجهد الضائع محـــاولا أن تمســك بأطراف السحاب ، برقصات الأمواج ، برائحة الأزهار ؟!

أرجونا : ياسيدتى .. لاتأخــذى فى التهوين من شأن الحب بأســباب واهية .. اعطينى شــيئا أتشبث به يمكن أن يدوم أكثر مما يدوم السرور العارض ، ويقــوى على البقاء حتى تحت ضـغط المتاعب والتجارب ..

تشيترا : أيها البطل .. ان العــام لم يبلغ نهــايته بعد ومع ذلك أراك قد بدأت تشــكو ! لقد أدركت الآن أن حكمة الســماء هى التى اقتضت أن يكون عمر الزهور قصيرا !.. ترى هل يمكن لهذا الجسم الذى لى أن يذبل ويموت مع الأزهار فى نهاية الربيع ؟.. لو يتحقق ذلك لتكونن ميتة ما أكرمها ، وما أشرفها .. أيها الحبيب ، ان أيام الحب معدودة . لاتدخرها ، اعتصر الجنى والشــهد فى أوانه ، فان المخاوف تعاود قلبك المتيم ، ولاتدعه يطمئن أو يهدأ .. كالنحــلة الظامئة عندما ترى براعم الزهر قد جفت ، وتساقطت صريعة فوق التراب !.

(موسيقى انتقالية)

المشهد السـابع

مادانا : هذه ليلتك الأخيرة ••

ڤاساتنا : هذه الجاذبية وهذه الفتنة اللتان تغلفان جسدك ستعودان منذ الغد ليختزنهما الربيع فى أطوائه •• وهذه الصبغة الوردية التى تلون شفتيك فتشـيران التشهى سـتذهب ذكراها عن خيال أرجـونا ، الجاذبية والفتنة ستتحولان منذ الغد الى ورقتين حمراوين من أوراق « أشوكا » الغضة •• وهذا اللون المرمرى والبشرة النـاعمة التى تغطى قوامك سنحملها عنك ليولدا من جديد فى أصـلاب مئات من أزهار الياسمين •

تشيترا : أيها الالهان !•• استجيبا لهذا الدعاء : عندما تأتى الساعة الأخيرة لهذا التغير فى هذه الليلة ، اجعلا جمـالى يبدو فى أروع حالاته • كما تكون آخر خفقة من خفقات السراج الوهاج ••

مادانا : سنحقق لك هذه الرغبة •

(موسيقى انتقالية)

المشـــهد الثامن

القرويون : ياللحيرة !•• من ذا الذى يحمينا الآن ؟!

أرجونا : ولم هذا السؤال ؟•• أى خطر يتهددكم ؟

القرويون : ان اللصوص يتقاطرون علينا من المرتفعات الشمالية ليكتسحوا قريتنا ، كالسيل العرم المتدفق من أعلى الجبل !

أرجونا : أليس لديكم فى هذه المملكة حارس يحميها ؟

القرويون : لقد كانت الأميرة تشـــيترا تلقى الرعب فى قلب كل من يفكر مجرد التفكير فى الاعتداء •• وطالمـــا كانت بيننا فى هــذه الأرض السعيدة لم نكن نخشى ســوى الموت الطبيعى ، ولم تكن لدينا أية مخاوف أخرى !•• ولكنها الآن قد ذهبت فى سياحة ، ولا يعــلم أحد أين يمكن أن نجدها !•

أرجونا : أتريدون أن تقولوا ان حارس هذه المملكة هو •• امرأة ؟!

القرويون : نعم • نعم •• انها أبونا وأمنا جميعا •• (يخرجون) •

تدخل تشيترا

تشيترا : لمــاذا تجلس وحيدا ياحبيبى ؟

أرجونا : انى أحاول أن أتخيل أى نوع من النساء يمكن أن تكونه تلك التى تدعى « الأميرة تشيترا » !•• لقد سمعت روايات كثـيرة عنها من أفواج مختلفة من الرجال !••

تشيترا : آه •• ولكنها ليست جميلة •• ليس لها عينان جميلتان مثـــل عينى •• سوداوان كالموت •• قد تستطيع ببراعتها أن تصيب الهدف متى أرادت ، ولكنها لاتستطيع أن تنفذ الى قلب •• البطل أرجونا !

أرجونا : يقال انها فى الجرأة والبطولة كأشجع رجل ، ولكن قلبهـا مع ذلك يحمل رقة المرأة ..

تشيترا : هذا فى الواقع من سوء طالعها الأعظم !.. عندما تكون المـرأة مجرد امرأة .. عنـدما تنطلق على سجيتها الأنثوية حـول قلـوب الرجال ، وهى تبتسم ، أو تذرف الدمع ، أو تقـدم خدماتهـا أو ملاطفاتها فى غرام ووله ، فحينئذ تكون سعيدة . ماذا يفيد المـرأة أن تكون على درجة عظيمة من العـلم ، أو على قمـة انتصـاراتها ومغانمها فى ميدانى الحرب والفروسـية ؟ لو أنك رأيتها أمس وهى فى ساحة معبد الاله شنيفا عند طرف الغابة ، اذن لمررت بها مستنكفا أن تعيرها أقل التفات ! .. قل لى أتراك قد زهدت فى جمال المرأة التى أمامك الى حد أنك تتطلع الى سمات الرجـل التى تكمن فى تلك المرأة ؟!

لقد أعددت من أوراق النبات الخضر ، المنداة بمياه النبع الصافية ، سريرا وثيرا فى جوف غار دافىء ظليل .. والنسيم من حوله يداعب الأغصان ويرسـل الأنغام والألحـان ، فتتهادى الى الأسماع رفيقة رقيقة تغرى بهناءة النوم .. هيا معى أصحبك اليه ..

أرجونا : أرجوك .. ليس الآن ياحبيبتى .

تشيترا : ولمـاذا ليس الآن ؟

أرجونا : لقد سمعت أن عصابة من اللصوص تقترب من هذه الحدود .. ان الأمر يتطلب أن أذهب وأعد أسلحتى ، لأحمى أولئـك القرويين الوجلين .

تشيترا : لاداعى للخوف عليهم .. ان الأميرة تشيترا قد أعـدت قبل أن تقوم برحلتها عدتها لحمايتهم ، فبثت رجالا أشداء على طول الحدود يضطلعون بالحراسة ..

أرجونا : دعينى لبعض الوقت أنهض بعمـلى كرجل كشاترى ، سأعضد

باتتصار جديد وعمل مجيد هذه الذراع الخاملة ، واجعل منها سندا أكبر قدرا من رأسك هذا ..

تشيترا : وماذا عساك تصنع اذا رفضت أن أدعك تذهب ؟.. اذا احتفظت بك بين ذراعى ؟ هل تثور وتنتزع نفسك منى وتتركنى ؟ اذهب اذن .. ولكن أعلم أن غصن الشجرة اذا انحطم مرة وصار قطعتين ، لن يلتئم مرة أخرى !.. اذهب مادمت تشعر أنك قد بلغت هذا الحد ، فاذكر اذن أن الهة السرور سريعة الغضب ، وأنها قد لاتعنى كثيرا بالرجال ، اجلس قليلا ياسيدى ، وقل لى أية أفكار تضايقك .. ومن يأخذ عليك أقطار تفكيرك ؟.. هل هى .. « تشيترا » ؟

أرجونا : نعمْ ، هى تشيترا !.. انى لأتساءل أى نذر ذاك الذى ذهبت من جرائه تحج لتفى به !.. أى شىء يمكن أن تكون فى حاجة اليه لتطلبه وتنذر لأجله نذرا !..

تشيترا : أى شىء ؟!!. وماذا لديها مما تريده النساء ، تلك المخلوقة السيئة الحظ ؟ ان أقصى مالديها من مزايا لايتعدى أن يكون كحوائط السجن ، يحبس قلبها فى زنزانة خالية ! انها مخلوق بائس ، مضيع الآمال !.. ان حبها كامرأة كان قمينا بأن يسعدها ولو كانت فى أسمال بالية ، ولكن الجمال الأنثوى ينكرها ، ويتنكر لها ، وينغص عليها حياتها .. انها مثل روح الصباح المكفهر الوجه ، تحوم حول صخرة جبلية لاتفرج كربا ، ولا تجلو صفحة !.. كل ومضاتها المشرقة قد أحدقت بها السحب الداكنة الكثيفة ، وخنقتها !. ولا تسلنى عن حياتها .. لن تكون مما تطيقه أذن رجل !

أرجونا : أنا مشوق لأن أعرف كل شىء عنها .. انى كالمسافر الذى وصل الى مدينة غريبة عنه فى منتصف الليل .. القباب والأبراج والأشجار فى الحدائق تبدو للعين باهتة خافية ، وخرير مياه البحر يأتى الى اذنه خلال السكون الذى يصاحب النوم ، كالأنين المبهم .

لا جرم يتطلع الى انبلاج الصبح بصبر نافد ، ليتكشف أمام عينيه كل شيء •• أوه ! ألا حدثتنى عن أمرها •• عن قصتها ؟

تشيترا : وماذا بقى من قصتها لأحدثك به ؟!•

أرجونا : انه ليخيل لى أنى أراها •• أراها بعين الخيال ، تمتطى صهوة جواد أبيض ، وتمسك العنان بيدها اليسرى ، وفى يدها اليمنى قوس النصر •• وكالهة النصر تهب كل من حولها الآمال السعيدة ، وكلباة المملكة تحمى عرينها وأشبالها بالحب القوى •• ذراعاها جميلتان لا لأنهما تزدانان بالحلى بل لأنهما قويتان !•• ان قلبى لايستقر فى موضعه أيتها البطلة الساحرة تشيترا انه كالثعبان الذى يفيق من سباته الطويل بعد انقضاء الشتاء ، فهو ينزع عن نفسه الخمول ، وينطلق ، •• تعالى الى ، ولننطلق معا على جوادين متوثبين ، جنبا الى جنب ، كشهابين ثاقبين يمرقان خلال النجوم •• بعيدا ، بعيدا عن هذا السجن الصامت الموحش •• هذا الحاجز الأخضر الكثيف ، الرطب الخانق الهواء •

تشيترا : اذن خبرنى يا أرجونا ، واصدقنى القول •• اذا أنا استطعت الآن ـ فى هذه اللحظة ـ أن أنفض عن جسمى بطريقة سحرية هذه الرقة الفتانة التى أبدو بها ، هذه اللمسة الساحرة التى لاتجسم منى الا ثوب الأنوثة لا حقيقتها وعواطفها •• وأتخلص منها كما يتخلص الانسان من ملابس معارة •• فهل تحتمل هذه المفاجأة ؟ •• اذا أنا وقفت ازاءك شامخة قوية ، جريئة القلب ، مطهرة من الضعف النسوى ، ومن فنون المرأة المغلوبة على أمرها •• اذا أنا رفعت رأسى عاليا كقمة الطود الراسخ ، لاكجذع اللياتة الغارقة فى الوحل البراق الخادع كالسراب •• فهل أروق عندئذ فى عينى البطل ؟•• لا ، لا •• انك لن تقوى على هذا •• وأحجى بى أن أبقى على هذه الهالة التى تحيط بى ، هذا البريق الذى يفتن ، ويخلب اللب ، وانتظر عودتك فى صبر •• وعندما يطيب لك أن تعود سأتلقاك بشوق ، وأقدم لك خمر النعيم فى كأس من هذا الجسم البديع •• واذا

فاضت بك الكأس وأحسست الملل أو الزهد ، استطعت أن تذهب للعمل أو اللعب ، وعندما تتقدم بى السن ، سأقبل فى خضوع واستسلام أن أنزوى فى الركن الذى أساق اليه ..

أم تراك يسرك ويرضى ميول البطولة فيك أن تجد حسناء المساء تتطلع كذلك الى مصاحبة البطل فى النهار ، والذراع اليسرى تقاسمك أمجاد الحمل الذى تنهض به الذراع اليمنى ؟

أرجونا : يبدو لى أنى لا أعرفك على حقيقتك !.. انك تتراءين لعينى كالالهة تتخفى وراء صورة ذهبية .. لا أستطيع أن ألمسك ، ولا أستطيع أن أعيد اليك ديونى فى مقابل هباتك التى لا تقدر بثمن !. ولأجل هذا أحس أن حبى غير مكتمل .. ولكنى أحيانا يخيل لى أنى أستطيع أن أقرأ مابين السطور .. فمن خلال نظراتك العميقة الحزينة ، وكلماتك اللاهية التى تسخر من معانيها ، ألمح بصيصا يكشف عن محاولة مترددة لافشاء سر النعمة العظيمة ، التى يرفل فيها هذا الجسم والكشف عن نار مطهرة من الألم خلف ستر رقيق من البسمات . ان التخيل هو أول مظهر من مظاهر الحقيقة .. لقد تقدمت المحبوبة الى حبيبها وهى متنكرة ، ولكن سيأتى الوقت الذى تتخلى فيه عن زخرفها ، وتكشف عن نفسها ، وتقف عارية تحت شمس الحقيقة .. انى أجدّ فى الوصول الى هذه الغاية .. الى الحقيقة البسيطة المجردة .

لماذا هذه الدموع ياحبيبتى ؟ لماذا تخفين وجهك بيديك ؟ هل آلمتك بكلامى أيتها الحبيبة ؟ انسى اذن كل ما قلته .. سأكون سعيدا بحاضرنا هذا .. دعى كل لحظة من لحظات الجمال تتهادى الى كطائر مجهول من عشه غير المنظور ، فى ألفاف الظلام ، حاملا رسالة من الأنغام .. دعينى مع آمالى الى الأبد فى انتظار تحقيقها ، وهكذا تنتهى أيامى .

(موسيقى انتقالية)

المشهد التاسع

(تشيترا وارجونا)

تشيترا : (تتدثر بعباءة) : سيدى .. هل نضب المعين الى آخر قطرة فيه ، هل هذه حقا هى النهاية ، لابل عندما ينتهى كل شىء ، سيبقى هناك شىء جوهرى ، ذلك هو التضحية الأخيرة التى أضعها عند قدميك . لقد أحضرت من رياض الفردوس زهرات ذات بهاء رائع وجمال لا يضارع ، لأقدمها قربانا لتعبدى لك ، يا اله قلبى . فاذا كنت قد أتممت شعائرى ، واذا كانت زهراتى قد قبلت ، فدعنى أقذف بها بعيدا خارج المعبد (تخلع عباءتها وتكشف عن صورتها الحقيقية فتظهر بزيها القديم) .. انظر الآن الى التى تتعبد لك ، انظر اليها بعينين رحيمتين ..

أنا لست جميلة كالزهرات التى تعبدتلها من قبل . انى أتفرد بنصيب ضخم من العيوب والدمامة .. انى رحالة فى طريق عالمى ، طويل ، ثيابى متسخة ، وقدماى تدميان من الأشواك، فكيف أستطيع أن أحتفظ بجمال الزهرة ، وهى لاتكون الا نقية رائعة ريانة ؟ ان التقدمة العظمى التى أحملها اليك بفخر هى « قلب » امرأة .. هنا ، فى هذه التقدمة ، فى هذا القلب تتجمع كل الآلام وكل الأفراح ، الآمال والمخاوف ، والخجل الذى تحس به فتاة من التراب .. هنا يقفز الحب مصارعا فى سبيل حياة باقية خالدة .. هنا تكمن الصورة الحقيقية لانسان حقيقى .. صورة ناقصة ولكنها لصدقها نبيلة وعظيمة . فاذا كانت خدمة الزهرة قد انتهت ، فتقبل ياسيدى هذا كخادم لك فى الأيام المقبلة .

أنا « تشيترا » ، الأميرة ابنة الملك ، ربما كنت تذكر اليوم الذى جاءتك فيه امرأة وأنت فى معبد شيفا ، وهى تخب فى الحرير وترفل

فى الحلى والزينة . تلك المرأة قد جاءت تتودد اليك وهى أقرب الى صورة الرجل منها الى صورة المرأة .. وقد أهملتها وتجاهلتها ، وحسنا فعلت ! أنا ياسيدى هى تلك المرأة !.. لقد كانت هى صورتى الأولى قبل تنكرى ، لقد منحتنى الآلهة لمدة عام واحد أعظم مظهر فاتن يمكن أن تحصل عليه فتاة من بنى البشر ، وبذلك أتعبت قلب بطلى بأثقال هذا المظهر الخادع .. وأنا الآن لم أعد هذه المرأة ..

أنا « تشيترا » ، لا الهة تعبد ، ولا أنا الآن شىء مهمل لايظفر بغير الاشفاق ، ويلقى به جانبا كالنفاية المتخلفة من فتات المائدة .. فاذا تلطفت وأبقيتنى الى جانبك فى مواقف الخطر والشدة ، واذا رضيت بأن أشاركك فى حمل الأعباء الجسام التى تواجهك فى حياتك ، فحينئذ ستعرفنى على حقيقتى .. واذا كان طفلك الذى أحس به الآن فى أحشائى يولد صبيا ذكرا ، فسأتولى تعليمه بنفسى وأتوفر على تدريبه حتى أجعل منه « أرجونا » آخر ، وأرسله اليك فى الوقت المناسب ، وحينئذ ، فى النهاية ، ستعرفنى حقا ، أما اليوم فكل ما أستطيع أن أقدمه اليك هو .. « تشيترا » ابنة الملك ..

أرجونا : أيتها الحبيبة .. ان حياتى قد اكتملت (يتعانقان) .

(ستار الختام)

.. وقصص أخرى

عودة الطفل

عندما قدم « ريشاران » الى منزل سيده ليعمل خادما ، كانت سنه لا تتجاوز الثانية عشرة . كان فى الأصل ينتمى الى الطبقة ذاتها التى ينتمى اليها سيده ، وقد عهد اليه بخدمة ابنه الصغير ورعايته .. ومع مر الزمن ، ترك الصبى ذراعى ريشاران ليذهب الى المدرسة، ومن المدرسة الى الكلية، وبعد الكلية ، التحق بالسلك القضائى .. وقد ظل ريشاران طوال هذه المراحل ، حتى وقت الزواج ، تابعا لهذا الابن وحده .

ولكن عندما دخلت البيت سيدة ، هى العروس ، أصبح ريشاران يصدع بأوامر سيدين ، لا بأوامر سيد واحد ، ورتب أمره على أن يكون فى خدمة السيدة الجديدة كذلك ، ثم ما لبث الخادم أن وجد بعض العوض والعزاء، عندما ولد لسيده « انوكول » طفل ، فقد انصرف بكل اهتمامه اليه ، وتولاه بالخدمة والعناية .. كان يداعبه ، فيحمله بين ذراعيه ، ويدفع به الى فوق ويتلقاه ثانية ، ويناديه ويناغيه بلغة طفلية ساذجة ، ويدنى وجهه من وجهه ثم يبتعد فجأة بحركة تمثيلية مضحكة ..

وبعد وقت أصبح الطفل قادراً على أن يحبو ويسرع بزحفه الى خارج البيت ، وعندما كان ريشاران يلاحقه ليمسك به ، كان الطفل يصرخ بكل قوته وهو يحاول التملص منه ! .. وكان ريشاران تستولى عليه الدهشة من مهارة الطفل وذكائه المبكر ، وصحة حكمه على الأشياء فى كل تصرفاته ، وكثيراً ما كان يذهب الى سيدته ويقول لها فى حرارة وايمان : « ان ابنك سيصبح قاضياً يوماً ما »

وظهرت بعد ذلك مفاجآت جديدة .. وكان القدر قد حكم على ريشاران أن يدخل التاريخ ويحدث فيه حدثا ، منذ أن عرف الطفل كيف يعدل عن حبوه ويعتمد على قدميه الصغيرتين ويخطو بهما خطواته المتعثرة،

وكانت غبطة ريشاران تتجاوز كل حد عندما بدأ الطفل يقول لأبيه « بابا » ، ولأمه « ماما » ، ويناديه هو بكلمة « شانا » •• كان يود أن يشهد الدنيا على هذا الحدث العظيم !

وكان على ريشاران بعد ذلك أن يظهر عبقريته فى ميادين أخرى •• كان عليه مثلاً أن يؤدى دور الحصان ، ممسكاً بالعنان بين أسنانه وهو يقفز بقدميه •• وكان عليه أن ينازل الصغير فى مصارعة « حامية » ، فاذا لم يهزم فى هذه « المباراة » بحيلة من الحيل ، وينقلب على ظهره مستسلماً ، فان صرخة احتجاج عالية تنبعث من فم الطفل ، كفيلة بأن تزعجه وتقلقه •

وفى ذاك الوقت ، نقل « أنوكول » الى جهة أخرى عند أحد شواطىء نهر « بادما » • وعندما مر الوالد بمدينة كلكتا فى طريقه الى المكان الجديد، ابتاع لطفله عربة صغيرة ، وسترة صفراء ، وقبعة جوكى مذهبة الحافة ، وحلياً من الذهب لمعصميه وساقيه • وكان ريشاران يحب دائما أن يحمل هذه النفائس ويزين بها الطفل كلما خرجا معاً للنزهة ، ويحس بفخر عظيم وهو ينهض بهذه المهمة •

وجاء فصل الأمطار ، ويوماً بعد يوم جعلت السماء تمطر ، وبدأ النهر الشره ، كالتنين الهائل ، يبتلع الشرفات ، والقرى وحقول القمح ، ويغطى بفيضانه الحشائش العالية والأشجار الكثيرة المنتشرة على الشواطىء الرملية •• وبين وقت وآخر تسقط قطع كبيرة من قشرة الأرض فى قاع الماء من فعل الأمواج ، محدثة صوتا مخيفا ، ويسمع زئير الأمواج المتلاطمة التى يسوقها التيار الكبير بلا توقف ، يسمع من بعيد ، وتتجمع كتل الزبد وتتكاثف دانية ومبتعدة ، مصورة أمام العين مدى سرعة ذلك التيار •• الجبار !

وتوقف المطر ذات مرة بعد الظهر ، كانت هناك سحب ولكن الجو كان لطيفاً • ولم يشأ الطفل المدلل أن يبقى داخل البيت فى مثل هذه الفترة الجميلة • وامتطى السيد الصغير المبجل عربته • وأخذ ريشاران بذراعيها الأماميتين فى موضع الحصان ، وراح يجرها خلفه فى بطء الى أن وصل الى حقول الأرز على شاطىء النهر ••

لم يكن هناك أحد فى تلك الحقول ، ولا قارب فوق المجرى ، ولاحت فوق النهر ، عند الجانب الآخر ، قطع من السحاب مشققة ، والاحتفال الصامت من حول الشمس فى جلستها فوق عرشها يكشف عن عظمتها وروعتها . وفى وسط هذا السكون ، مد الطفل يده فجأة وأشار بأصبعه الى شىء أمام ناظره وصاح :

ـ شانا .. بيتى فو !

حقا ، كانت هناك أزهار جميلة ، أو كما نطقها الطفل « بيتى فو » ، تحملها شجرة كبيرة قائمة على مقربة منهما . وقد نظر اليها الطفل بعينين تواقتين ، وعرف ريشاران على الفور ماذا يريد سيده .. وكان الطفل قد أخذ يجر عربته بقطعة خيط معقود بمقدمها ، وهو مبتهج لأنه استطاع أن يعتمد على نفسه فى استخدام العربة ، وأن يرقى خادمه من القيام بمهمة الحصان الى الاضطلاع بوظيفة السائس ، طول الوقت .

ولم يكن ريشاران يريد فى تلك الساعة أن يلطخ رجليه الى ركبتيه فى الوحل ليأتى بالأزهار لسيده ، ولذلك أراد أن يحول عنها نظره ، فأسرع يشير الى الجانب الآخر ويصيح : « انظر يا طفلى ، انظر .. انظر الى الطائر » ..

وبكل نوع من أنواع الأصوات الغريبة ، جعل الرجل يصيح ويقلد ، بينما هو يدفع أمامه عربة الطفل ليبتعد عن الشجرة .

ولكن هذا الطفل الذى تنبأ هو له بأن يصبح قاضياً ، لا يمكن أن يتحول عن هدفه بمثل هذه السهولة . وفضلاً عن ذلك فلم يكن هناك فى ذلك الوقت شىء حقيقى يمكن أن يجتذب نظر الطفل .. ثم انك لا تستطيع مهما أوتيت من قدرة على التمثيل، أن تظل متظاهراً هكذا بتصوير طائر لا وجود له .

وصمم السيد الصغير على تحقيق رغبته، وأسقط فى يد ريشاران ونفدت حيلته ، وأخيراً قال :

ـ حسنا يا طفلى ، ستمكث أنت هنا ساكناً فى عربتك ، وسأذهب أنا وأحضر لك « البيتى فو » ، ولكن حذار أن تقترب من الماء .

وشمر الرجل عن ساقيه الى الركبتين ، وخاض فى الأرض الوحلة متجهة الى الشجرة ٠

وفى اللحظة التى ذهب فيها ريشاران ، اتجهت أفكار الطفل بعيداً نحو المياه التى حذره منها ٠٠ لقد رأى الطفل النهر مندفعاً بأمواجه ، ناثراً مياهه فى غمره وانحساره ، مصطخباً كأنه يتحرش به ويناديه ، وبدا له كأن الأمواج العنيدة ليست الا مئات الأطفال تهرب من ريشاران أو تتعرض له هازئة ضاحكة ٠٠ وعندما تصور هذه الحال لم يطاوعه قلبه أن يظل ساكناً فى مكانه ، فنزل من عربته وأسرع يخطو خطواته الصغيرة نحو النهر ٠٠ وفى طريقه التقط عصاً صغيرة وانحنى بها فوق الشاطىء عابثاً أو متظاهراً بالصيد ٠ وخيل اليه أن حوريات الماء بأصواتهن العجيبة يدعينه للدخول الى ملعبهن !

وقطف ريشاران مجموعة أزهار من الشجرة ، وحملها فى طرف ثوبه عائدا ، ووجهه مشرق بابتسامة الرضا ٠٠ ولكنه عندما وصل الى عربة الطفل وجدها خالية ، وتلفت حوله الى كل جهة ، غير أنه لم يجد أحداً ٠٠ ونظر ثانية الى العربة ، فلم يجد أحداً فيها !

فى هذه اللحظة الرهيبة ، تجمد دمه فى عروقه ، وتصور الدنيا أمام عينيه تسبح حوله كالضباب الأسود ، ومن أعماق قلبه المحطم انطلقت صرخة متلهفة : « سيدى ٠٠ سيدى الصغير ! »

ولكنه لم يسمع الصوت المعهود الذى يقول : « شانا » ٠٠ لم يكن هناك طفل يضحك بكل قوته استجابة لندائه ٠٠ لم يجد صيحة فرح من طفله ولم يجد طفله يرحب بعودته حاملاً اليه الأزهار التى طلبها ٠٠ لم يكن هناك سوى النهر يجرى ماؤه هادراً صاخباً مندفعاً على طبيعته ، كأنه لا يعلم شيئاً ، وكأنه لا يريد أن يضيع وقتاً فى الالتفات الى مثل هذا الحادث البشرى الصغير ٠٠ حادث هلاك طفل !

وعندما زحف الظلام ليحتل مكانه ، قلقت مخدومة ريشاران ، أم الطفل ، وتزايد قلقها على طفلها ٠٠ وأرسلت رجالاً يبحثون عنه فى كل مكان ، وذهب الرجال والمصابيح فى أيديهم يبحثون ، الى أن وصلوا فى النهاية الى

شاطىء النهر ، حيث وجـدوا ريشاران يعـدو هنا وهنالك بين الحقول ، كالريح العاصفة ، ويصرخ بصـوت يائس : « سـيدى •• سـيدى •• الصغير ! »

وعادوا بريشاران أخيراً الى البيت وهناك جثا الرجل عند قدمى سيدته ولكنها دفعته بهما ، واستجوبته وسألته عن المكان الذى ترك فيه الطفل ، بيد أن كل ما استطاع أن يقوله هو أنه •• « لا يعلم ! »

ومع أن كل واحد قد استنتج أن نهر بادما هو الذى ابتلع الطفل ، الا أن الأمر لم يكن يخلو من بعض الشك • فقد كانت هناك جماعة من الغجر قيل انهـا رؤيت خارج القرية فى ذلك الوقت ، وأن الشبهة لذلك تحوم حول أفرادها •• واستبدت بالمرأة أحزانها حتى صورت لها أنه لا يبعد أن يكون ريشاران نفسه هو الذى أخفى طفلها ، وما لبثت أن دعته اليها وانتحت به جانبا وقالت له راجية ضارعة :

« ياريشاران ، أعد الى طفلى •• أعد الى طفلى •• خذ كل ما تريده من مال وأعد الى ابنى ! »

وضرب ريشاران جبهته بكفه ولم يقو على الكلام ••

وفى سورة الغضب ، أمرته السيدة بأن يغادر البيت •

وحاول أنوكول زوجها أن يردها الى صـوابها ، ويبدد من فكرها هذا الشك الظالم وهذه التهمة الباطلة ، بقوله :

ــ ولماذا بحق السماء يمكن أن يفكر الرجل فى اقتراف مثل هذه الفعلة ؟!

فترد الأم بوحى عاطفتها قائلة :

ــ لقد كان الطفل يلبس الحلى الذهبية •• من يدرى !

وهكذا لم يعد من الممكن أن يخاطبها بمنطق العقل بعد ذلك !

★ ★ ★

ذهب ريشاران عائدا الى مسقط رأسه فى القرية ، لم يكن له ولد ، ولم يكن عنده أمل فى أن يولد له طفل الآن •• ولم تنقض على وصـوله الى بيته قرابة عام واحد حتى ولدت له زوجته طفلاً ، وماتت على أثر ذلك !

وفى البداية ، عندما رأى ريشاران الطفل ، امتلأ قلبه بالسخط والغضب

فقد كانت تحدثه نفسه بأن هذا الطفل قد جاء ليحل محل سيده الصغير ، وأراد أن يقنع نفسه بأنه سيعد خائنا وأثيما اذا هو صـــار سعيداً مع طفل يولد له بعد الذى حدث لابن ســـيده •• وعلى ذلك لم يكن منتظراً لهذا الوليد أن يجد الرعاية الواجبة من أبيه ، لولا أن الأقدار قد قيضت له أن تتولاه بالرعاية عمته الأرملة شقيقة ريشاران •

ولكن حدث ، شيئا فشيئا ، تحول طارىء فى تفكير ريشاران •• لقد وقع أمر مدهش •• فان الطفل الجديد قد أخذ بدوره يحبو هنا وهناك، ويزحف الى خارج البيت وكان يبدى مهارة وذكاء وهو يحـاول أن يكون زحفه وهربه آمناً من التعقب والمضايقة • وبدا صـــوته ، وضحكه ، ودموعه ، وصورة وجهه فى سروره وابتهاجه ، كتلك التى كانت للسيد الصغير تماما !

كان ريشاران عندما يستمع أحيـانا الى بكائه ، يقفز قلبـه ويصطدم بضلوعه ، ويخيل اليه أن سيده الصغير السابق هو الذى يصرخ فى عالم الأموات لأنه لا يجد تابعه « شانا » !

وبدأ « فايلنا » ، وهو اسم الطفل كما أطلقته عليه عمته ، ينطق ويتكلم •• لقد استطاع أن يقول « بابا » و « ماما » بلهجة الأطفال • وحين سمع ريشاران هذه الألفاظ المألوفة عنده من قبل ، بدأ الغموض يتبدد والأمور تتضح فى ذهنه وأمام عينيه •• ان السيد الصغير لم يستطع أن يتخلص من تعلقه « بشانا » ، ولذلك ولد الطفل ثانية فى بيته !

هكذا أوحى الى ريشاران فكره ومنطقه الجديد !

كانت حجته فى ذلك تقوم على ثلاثة أسس لا تقبل الجدل :

الأول : أن الطفل الجديد قد ولد عقب موت سيده الطفل •

والثانى : أن زوجته لم تكن بطبيعتها مستحقة ولا مستعدة لهذا الامتياز لنفسها لأنها لم تلد الا فى منتصف العمر •

والثالث : أن الطفل الجديد كان يخطو خطواته المتعثرة فى سن مبكرة ، وينادى « بابا » و « ماما » •• تماما كما كان يفعل الطفل الأول ، فلا شك أنه هو هذا الطفل بعينه ، قاضى المستقبل !

وتذكر ريشاران فجأة الاتهام الشنيع الذى وجهته الأم اليـه ، فقال فى نفسـه متعجبا : « آه ... ان قلب الأم كان على حق .. لقـد كان قلبها يحدثها بأنى سرقت منها الطفل ! »

واذ وصل به تفكيره الى هذه النتيجة ، امتلأت نفسه بالأسف وتأنيب الضمير على ما سلف من اهماله .. وما لبث أن وهب نفسه، جسماً وروحاً، لطفله ، وأصبح تابعه وراعيه الأمين المخلص .. وبدأ ينشئه نشـأة ابن وحيد لرجل واسع الغنى ، كما كانت حال الطفل الأول ، وأحضر له عربة صغيرة ، وسترة صفراء ، وقبعة مشغولة مذهبة ... وعمد الى حلى زوجته المتوفاة فصهرها وصنع منها حلياً لمعصميه وساقيه ! .

وكان ريشاران يحرص على ألا يدع الطفل يلعب مع جيرانه من الأطفال الرقيقى الحال ، وصار هو رفيقه وملازمه ليـلاً ونهاراً ، ولما كبر الطفل وأصبح صبيا ، ظل يخب فى الملابس الحريرية ويتجمل ويتزين بالحلى حتى صار أطفال القرية لا يخاطبونه الا بقولهم « مولانا » وهم يسخرون ، أما الكبار فكانوا يعدون الرجل مجنوناً بحب الصبى .

وحان الوقت لكى يذهب الولد الى المدرسـة ، وباع ريشـاران قطعة الأرض الصغيرة التى يملكها وحمل الطفل وذهب الى كلكتا .. وهناك بعد محاولات كثيرة استطاع الرجل أن يعمل كخادم عند سيد جديد ، وأرسل ابنه « فايلنا » الى المدرسة ، ولم يدخر وسعاً ولا جهداً فى سبيل أن يتيح له أفضل التعليم ، وأحسن الملابس ، وأشهى الطعام .. الى أن اضطر هو أن يعيش على حفنة من الأرز فى وجبته أو فى يومه ، وكان يعزى نفسـه ويحدثها فى السر قائلاً :

« آه ، يا سيدى الصغير .. أيها السيد العزيز .. لقـد أحببتنى الى درجة أنك أتيت بنفسك الى بيتى من جديد لتنشأ بين ذراعى .. لن تعانى أبداً من أى اهمال أو تقصير من جانبى »

وهكذا ، مرت اثنتا عشرة سنة ، وأصـبح الصبى متمكناً من القراءة والكتابة .. كان الصبى جميل الطلعة ، جذاب الملامح ، موفور الصحة ،

واعتاد هو أن يولى مظهره وملبسه وأناقته أعظم اهتمامه ، وصار ميالاً الى الاسراف فى نفقاته ، لا يضن بشيء على زينته أو نزهاته ، ولم يكن مقتنعاً تماماً بأن ريشاران هو والده لأنه مع تأثره به كوالد ، لم يكن مسلك الرجل معه الا مسلك خادم ! •• وكانت الغلطة الكبرى أن ريشاران قد أخفى عن جميع الناس أنه هو نفسه والد الطفل !

وكان زملاء « فايلنا » من الطلبة يجدون فى مظهر ريشاران القروى ورقة حاله ، المادة التى يتفكهون بها ، وربما كان الولد أيضاً يشاركهم فى لهوهم من وراء ظهره ، ولكنهم فى أعماق قلوبهم ، كانوا يكنون الحب لهذا الرجل المسن لبراءته وطيبة قلبه ، وكذلك كان فايلنا شديد التعلق به ، غير أنه كان يحبه حب العطف وحب التعطف !

ولما أخذ ريشاران يكبر ويكبر ، بدأ مخدومه يحصى عليه أخطاء كثيرة •• لقد أجاع نفسه لأجل الطفل ، ولذلك أخذ جسمه يضعف ، ولا يقوى على النهوض بعمله اليومى ، وصار كثير النسيان ، ذا بلادة وغباء •• والمخدوم لا يرحم ، ولا يقبل أى عـذر من المخطىء اذا تكررت أخطاؤه •• وكان المال الذى حصله ريشاران من بيع أرضه قد أوشـك على النفاد ، وبدأ الولد يتذمر من الحالة التى صارت اليها ملابسه وهندامه ، ولم يكف عن الالحاف فى طلب المزيد من النقود ••

وفى النهاية اسـتقر رأى ريشـاران على أمر •• لقـد تخلى عن عمله كخادم ، وترك بعض النقود فى يد فايلنـا ، وقال له انه ذاهب الى قريته لقضاء حاجة له على أن يعود اليه بلا ابطاء •

وذهب على الفور الى مدينة « باراسيت » حيث يقيم سـيده القـاضى « أنوكول » ، وكانت زوجته لا تزال تجتر احزانها اذ لم ترزق طفلاً آخر

فى مساء هذا اليوم ، كان أنوكول يستريح قليلاً بعد نهار طويل مجهد فى المحكمة ، بينما كانت زوجته فى البيت تشـترى من أحـد المنجمين بثمن سخى ، وصفة من الأعشاب ذكر لها أنها أكيـدة المفعول كفيـلة بولادة طفل ! ••

وسمع أنوكول فى دار المحكمة فجأة صـوتاً يرتفع بالتحية ، وخرج من مكتبه ليرى من هو صاحب الصوت ، فاذا ريشاران يقف أمامه ، واذ رأى القاضى خادمه القديم ، رق له قلبه ، وسأله عدة أسئلة ، ثم عرض عليه أن يعيده اليه ليعمل فى بيته ..

ولكن ريشاران ابتسم ابتسامة ضعيفة وقال :

ــ انى أود فقط أن أقدم لسيدتى فى البيت فروض التحية ..

وصحبه أنوكول الى المنزل ، ولكن السيدة لم تستقبله بمثل الحفاوة التى لقيها من سيده . ولم يتأثر ريشاران بذلك ، بل ضم كفيـه وقال لهـا فى تواضع جم :

ــ لم يكن نهر بادما هو الذى اختطف الطفل ، بل .. أنا ..

وفغر أنوكول فاه وصاح :

ــ رباه ! .. ماذا تقول ؟ .. أين هو ؟

وأجاب ريشاران :

ــ انه معى .. سآتى به بعد غد .

وجاء اليوم الموعود ، يوم الأحـد ، وكانت المحكمة لاتعمـل فى ذاك اليوم . ومنذ الصباح أخذ القاضى وزوجته يرقبان الطريق بكل اهتمام ، فى انتظار وصول ريشاران . ووصل الرجل فى الساعة العاشرة ، ويده فى يد فايلنا .

وتقدمت زوجته أنوكول، وبلا سؤال أو تحقيق اختطفت الطفل ووضعته فوق حجرها ، وهى شديدة التأثر .. تضحك وتبكى وتطوقه بذراعيها ، وتقبل شعره ، وجبينه ، وتحملق فى وجهه بعينين نهمتين .. وكان الصبى حسن الشكل حسن الهندام ، ثيابه كثياب ابن ينتسب الى طبقة راقية وأب كبير .

واهتز قلب أنوكول من التأثر .

ومع ذلك فان ضمير القاضى الذى يتقمص بدنه حتى فى هذه اللحظة قد جعله يتساءل :

ــ وهل عندك الدليل على أن هذا هو ابنى ؟

وأجاب ريشاران :

ــ دليل ؟ كيف يمكن أن يكون هناك أى دليل على أمر كهذا ؟ •• ان الله وحده يعلم أننى أنا ، ولا أحد سواى فى العــالم ، هو الذى سرق منكما الولد •

ولما رأى أنوكول كيف تعلقت زوجته بالصبى ، أيقن أنه من العبث أن يبحث عن الدليل •• ان من الأحجى أن يصدق •• فمن أين لرجل كهل مثل ريشاران أن يأتى بولد كهذا الولد ؟ وما الذى يحمل هذا الخادم الأمين على أن يخدعه •• انه لن يفيد شيئاً من هذا الخداع •

ومع ذلك فان القــاضى لم يستطع أن ينسى أن خادمه القــديم ، بهذه المثابة ، قد أخل بواجبات عمله ، فصاح به قائلاً :

ــ ريشاران •• لن أسمح لك بأن تمكث هنا مطلقاً •• اذهب ••

وقال ريشاران بصوت مختنق بالحزن :

ــ والى أين أذهب ياسيدى

ثم ضم كفيه وقال فى ضراعة :

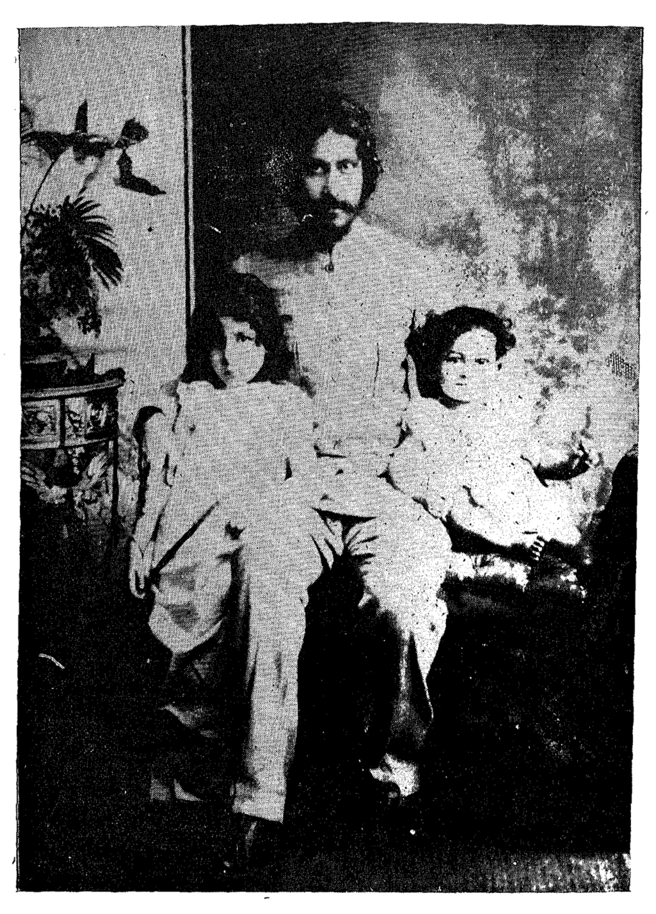
ــ لقد تقدمت بى السن وكبرت ، من يقبل عنده خادماً مسناً ؟

وقالت السيدة :

ــ دعه يمكث •• ان ولدى سيسر به •• وأنا قد عفوت •

ولكن القاضى لا يفرط فى تقاليد رجال القانون العريقة ، فينطق بالحكم قائلاً :

ــ كلا •• لا يمكن اعفاؤه مما اقترفه •



● لقطة تذكارية الشاعر مع ابنته ((بيلا)) وابنه ((راتندرانات))سنة ١٨٩١ ..

وانحنى ريشاران وأمسك بقدمى سيده وصرخ :

ــ دعنى أبقى ياسيدى •• لست أنا الذى فعل •• هو فعل الله •

واستاء القاضى أكثر من ذى قبل وهو يرى الرجل يحاول أن يتخلص من الذنب ويلقيه على الله •

ــ لا •• لا يمكن أن أصدقك بعد ذلك •• لقد ارتكبت جرماً •

وانتصب ريشاران واقفاً وقال :

ــ لم أكن أنا الذى فعل ذلك •

قال أنوكول :

ــ من هو اذن ؟

وأجاب الرجل :

ــ انه القدر ••

ان رجلاً متعلماً كهذا القاضى لا يمكن أن تقوم عنده مثل هذه العبـارة عذراً لمتهم وتبرئة من ذنب ، وعلى ذلك لم يتحول أنوكول عن موقفه •

وعندما رأى « فايلنا » أنه ابن هذا القاضى الغنى، وليس ابن ريشاران، امتلأ بادىء الأمر بالغضب ، لأنه حسب أنه قد غرر به كل هذا الزمن الذى أمضاه مع ملازمه ، ولكنه حين رأى ريشاران محزوناً ، قال للقاضى :

ــ أبى ، اعف عنه ، واذا أنت لم تدعه يقيم معنا ، فرتب له على الأقل معاشاً شهرياً •

وسمع ريشاران هذا ، ولم ينطق •• وألقى نظرة أخيرة على وجه ابنه •• وحيا السيد والسيدة ، ثم ذهب ، واختلط وذاب مع ناس الأرض الذين لا حصر لهم •

وفى نهاية الشهر ، أرسل أنوكول بعض المال الى قريته ، ولكن النقود أعيدت اليه ، لأنه لم يعثر هناك على أحد ، باسم •• ريشاران !

أحزان ملكة

كانت تبدو كأنما قد دقت ساعتها الأخيرة ، ودنت نهايتها .

تراها متبرمة بحياتها ، مختنقة .. لا شيء يحملها على أن تنفرج شفتاها ، أو تنبسط أسارير وجهها ، أو تكف عن تقطيب جبينها .. انها تنوء بحمل فوق كتفيها .. فوق ظهرها ، غير منظور !

ومع ذلك كانت عندما يحاول المعالج النفسانى الحكيم أن يقدم لها شيئا من وسائل العلاج ، تشيح عنه ، ولا تلتفت اليه ، ولا تهدأ !

حضر الملك . دخل مسرعا الى غرفتها ، ووقف الى جوار سريرها ، ومال نحوها ..

ـ عزيزتى ، ما الذى يؤلمك فى هذه المرة ؟ ما الذى تبحثين عنه ؟

وردت الملكة بجفاء ، وصوتها مختنق :

ـ دعونى .. دعونى كلكم وحدى .. الآن اتركونى وأتوا لى بصديقتى

وعندما قدمت صديقة الملكة أمسكت صاحبة الجلالة بيدها وأخذت تحدثها بصوت يشبه الهمس :

ـ ان لدى الكثير الذى أريد أن أحدثك به ..

وقالت الصديقة :

ـ حدثينى عن كل شيء ..

ـ اسمعى .. ان فى هذا القصر سبع قاعات كانت ثلاث منها تحت أمرة الملكة الأخرى المبعدة .. واقتصرت بعد ذلك على قاعتين اثنتين ، والآن أصبحت واحدة فقط تحت سلطانها .. ثم ذهبت هى نفسها وذهب عنها السلطان .

ومرت الأيام .. وابتعدت الملكة المهجورة عن كل أفكارى ، فلم يعد لها وجود فى حياتنا .. ولقد ظننت أن كل شىء أصبح على ما يرام ، وليس هناك ما ينغص عيشى ، أو يقلقنى ، أو يثير الغيرة فى نفسى .

ثم حل موعد الاحتفال بالعيد الكبير .. واعتليت عرش الطاووس ومر بى الموكب عبر الطريق ، حتى وصلت الى سرادق الموسيقى .. وكانت طلقات المدافع ومراسم الموكب الملكى قد شدت وثاقى وسجنتنى ..

وكان على جانب الطريق ، على مقربة من ضفة النهر ، شىء صغير لمحته عيناى .. كوخ مصنوع من طوب الأرض يقوم فى ظل شجرة .. ظل وارف مبترد ، وقد زحفت الأزهار الخضر وتسلقت حتى غطت جوانبه ، وحملت عتبة بابه الأمامى علامة الحظ المكونة من العجلة والمحارة ، مرسومة بعجينة الأرز الأبيض .

والتفت الى حاملة المظلة ، وسألتها : هذا البيت الصغير الذى يشبه الصورة ، لمن هو ؟

قالت : انه الكوخ الطينى الذى تقيم فيه الآن الملكة الأخرى .. المهجورة .

وعندما عدت الى القصر ، جلست وحدى فى غرفتى ، وليس حوالى الا الليل والمصابيح الى أن حضر الملك . واذ رآنى على حالى ليلتئذ سألنى :

ــ ما الذى يضايقك الآن ؟ ما الذى تبحثين عنه ؟

قلت : انى لا أستريح الى السكنى فى هذا القصر ..

قال : سأبنى لك اذن قصراً جديداً . ستشاد حوائطه من المرمر ، وستصنع أرضه من مسحوق الأصداف حتى تبدو بيضاء كرغوة اللبن ، وستحلى جوانبه بالرسوم المكونة من عقود زهر اللوتس مرصعة بحبات الجواهر الكريمة !



● من الرقص التعبيرى والتمثيلى فى الهند ، يقدمه الفنان أوداى
شنكار وفرقته الشهيرة ·

قلت مقاطعة : بل ان شوقى الى كوخ مبنى بالطوب فى ركن بعيد خارج أطراف الحديقة .

قال : حقاً ؟ اذن سيكون لك هذا .

وبنى الكوخ ..

كان مثل الزهرة البرية ، قطفت لتوها من عريشتها ، وكالزهرة سرعان ما رأيته يذبل ويجف ماء الحياة فيه ، ويخبو رونقه الذى كنت أتصوره فى خيالى ، ولم ألبث هناك الا قليلاً ، ثم خلفته وليس يخامرنى الا شىء واحد : شعور الخجل والعار !

ثم جاء الاحتفال الذى نطلق عليه اسم « الغطاس المقدس » وخرجت على رأس الموكب الى النهر ، لأغطس فيه غطسة وفى الحاشية مائة سيدة من نساء القصر .. وحملنى عرش الطاووس حتى غمرتنى به المياه . وعند العودة ، نظرت من فرجة أستار الهودج .. أجيل طرفى ..

« من هذه ؟! .. من هى تلك المرأة ذات السارى الأحمر البسيط المطرز، والغوايش الزجاجية حول معصميها ؟ لقد رأيتها تستحم فى النهر ، ثم تملأ جرة من الفخار بالماء ، وشعرها المبتل يلمع ويتلألأ تحت شعاع الشمس ، وتبدو هى فى صفاء ونقاء ونعمة كأنها تقدمة من باقة أزهار نذرت لصاحبها!

« من هى ؟ ... وفى أى صومعة تتعبد وتؤدى صلاتها ؟ ..

« وأجابت حاملة المظلة وهى تبتسم : ألا تعرفين الملكة المهجورة ؟!

« وعدت الى القصر ، وجلست وحدى فى غرفتى ، لا أنبس بكلمة ، الى أن حضر الملك، والتفت نحوى وقال : ماذا أيتها الملكة ؟ ما الذى يضايقك؟ ما الذى تبحثين عنه ؟ ..

« قلت : ان قلبى ليهفو الى أن يتاح لى القيام بجولة فى وضح النهار .. فأذهب الى النهر وأستحم فى مياهه ، ثم أملأ منها جرة من الفخار ، وأحملها بذراعى وأعود بها الى هنا ..

« قال الملك : أهذا كل ما هناك ؟ سيكون لك ذاك !

« وقف الحراس على الجانبين ، بطول الطريق الى النهر ، وتعطلت جميع المواصلات وأبطلت حركتها ، وأصبح الطريق كله خالياً مهجوراً .

« وارتديت سارياً من القطن ، أحمر مطرزاً ، ووضعت فى يدى غوايش زجاجية . واستحممت فى النهر وملأت الجرة الفخارية حتى حافتها ، ولم أكد أصل عائدة الى عتبات القصر حتى قذفت بالجرة بعيداً ، ورأيتها وهى تتحطم شظايا ، فانى لم يخامرنى فى تلك اللحظات الا شـعور كئيب ... بالخجل .. بالعار !

***

« ومرة أخرى جاء العيد الوطنى .

« وسبقت يوم العيد ، فى الليل ، الأغانى والرقص والمرح فى المعسكر خارج المدينة ، تحت ضوء القمر فى تمه ، وحتى الفجر !

« وجلست فى الهودج المرصع، فوق ظهر الفيل الملكى، عائدة الى القصر بعد كل هذه المباهج .. وفى أحد ممرات الغابة رأيته يتهادى غير بعيد من موكبى ، ذلك الشاب الذى كان يسير بمفرده .. كان يحمل فوق رأسـه عقداً من باقات الزهر ، وفى يديه يحمل سلة مملوءة بالفاكهة والحب ، من جنى الغابة ، وبالخضر والأعواد ، من قطاف المرجة ...

« وتساءلت : من تكون الأم المحظوظة التى أنجبت هذا الولد اللطيف ؟

« وأجابتنى حاملة المظلة قائلة : ألا تعـرفين يا مولاتى ؟ انه ابن الملكة الأخرى ، المهجورة .. انه يحمل الى أمه هدية من ثمار البستان ، وقطاف الغابة ..

« وعندما عدت الى غرفتى ، جلست مطرقة مهمومة محزونة .

« وسألنى الملك : ماذا بك ؟ ما الذى يجعلك مهمومة تطرقين وتلوين ؟ ما الذى تبحثين عنه ؟

« قلت : انى لأحلم بأن أطعم كل يوم من الفـاكهة البـرية ومن توت الشجر البعيد ، ومن الخضر المنداة الطازجة .. كم أتمنى أن يذهب ولدى

ويجمعها لى بيديه من قلب الغابة ومن أنحاء المرجة ويحملها الى فى داخل احدى السلال •

« قال الملك : حقا ؟ سيكون لك ما تشائين •

« وجلست فوق المقعد العالى ذى الرفارف الذهبية الأربعة ، وتلقيت من ولدى الهدية •• وكان يتصبب عرقاً ووجهه المحتقن من جراء القيظ ، يبين منه الغضب والغيظ •

« وتركت الهدية عند قدمى مهملة ليس بى رغبة فى أن أطعم منها ، فان قلبى لم يعد يخامره شىء سوى احساس الخجل •• العار ! ••

ولا أدرى ماذا حدث لى منذ فترة هذه الواقعة الأخيرة •• لقد أقمت كل الوقت بمفردى ، أكره الصحبة ، وشفتاى لا تتحركان •

« ويسألنى الملك : ماذا يضايقك ؟ ما الذى تبحثين عنه ؟ •

« ولكنى لا أجد جواباً !

« انى وأنا الملكة الأثيرة ، المعـــززة ، المقربة •• لا أستطيع من فـــرط الاحساس بالخجل أن أنطق وأعرف ما الذى أبحث عنه أو أريده حقيقة • دعينى يا صديقتى أنفس عن نفسى وأفضى اليك وحدك بسرى : ان الذى أبحث عنه هو الحزن والألم اللذان يعيشان فى قلب الملكة •• الأخرى ! ألمها •• وحزنها •• »

ولطمت الصديقة خدها بيدها من الدهشة •• ثم سألت الملكة : « ولكن •• لماذا ؟ لماذا ؟! »

وقالت الملكة المعززة المكرمة الأثيرة :

ـــ ان الموسيقى الحقة يا عزيزتى تنساب من نايها هى •• نايها المصنوع من الغاب • أما الناى الذى لى ، الناى الذهبى النفيس ، فهو ثقيل فى يدى •• لقـــد حملته فى كبرياء وتفاخر ، وحافظت عليـــه بكل تظاهر وادعاء ؛ ولكننى لم أستطع أن أخرج منه أية نغمة شجية ، أو أى لحن عذب •••

كابولى والا

« كابولي والا » احدى القصص القصيرة التى كتبها المؤلف بلغته « البنغالية » ، وقد أعدت للسينما منذ سنوات ، ففاز الفيلم بجائزة الدولة عن أفضل انتاج سينمائى خلال عام ١٩٥٦ ، وقدم رئيس الجمهورية وقتئذ ميدالية رئيس الجمهورية الذهبية لأحسن فيلم الى المخرج «ساتيا جيت راى » ، وجائزة رئيس الجمهورية الفضية لاحسن فيلم بالبنغالية فى الوقت ذاته •

وقصة « كابولي والا » تعد من اشهر قصص تاجور، وقد ترجمت مرارا عن البنغالية ، والترجمة الانجليزية التى ننقل عنها الآن كتبت بقلم اديبة توفيت تدعى الأخت نيفيديتا ، وقيل على السنة النقاد ان اسلوبها سهل ورائع ، وانه نموذج حسن للانجليزية الحديثة ، لتوخيها الجمل القصار ، وتخيرها للكلمات بعناية فائقة ، وابراز المعنى المراد •

و « كابولي والا » منقولة عن كلمة « كابول » عاصمة افغانستان، وهى تشير الى رجل من هناك ، فلاح ، هاجر الى الهند وجعل يتجول فى شوارع كلكتا ليبيع الفاكهة •

ان ابنتى الصغيرة « مينى » التى لا يتجاوز عمرها سن الخامسة لم تكن تستطيع أن تبقى بغير ثرثرة •• وانى أعتقد عن يقين أنها فى حياتها هذه كلها لم تضيع دقيقة واحدة فى الصمت • وكانت أمها كثيرا ما تضيق بثرثرتها ، وتحاول أن تكفها عن الكلام ؛ أما أنا فلم أكن أفعل هذا •• ان الهدوء أو السكون ليس طبيعياً لأمثال مينى، ولن أقوى على احتماله طويلاً •• وعلى ذلك كان حديثى معها على الدوام يتسم بالحيوية •

مثلاً ؛ عندما كنت قد وصلت الى منتصف، الفصل السابع عشر من روايتى الجديدة ذات صباح ، رأيت صغيرتى مينى تتسلل الى حجرتى ، وتضع يدها على قائلة : « بابا ! •• ان رامديال البواب يدعو الغراب « كراب » ! انه لا يعرف أى شيء •• أليس كذلك ؟ »

وقبل أن أتمكن من أن أشرح لها الفرق بين لغة وأخرى فى هذا العالم

الواسع ، أجدها قد دلفت الى عباب موضوع آخر : « ما رأيك يا بابا ؟.. ان (بهولا) تقول ان هناك فيلاً بين السحب ، يقذف المياه من خرطومه ، وان هذا هو سبب المطر ! »

ثم تتحول سريعا الى موضوع جديد ، بينما أكون أنا جالسا ساكنا ، أحاول أن أفكر فى بعض الاجابة المناسبة عما تسأل !

فتقول من جديد : « بابا .. ما هى صلة أمى بك ؟ »

وهنا يظهر على وجهى الجد ، وأنظر اليها وأقول فى شيء من الشدة : « اذهبى والعبى مع بهولا يا مينى .. اننى مشغول »

جلست الطفلة ذات يوم عند قدمى بالقرب من المنضدة التى أكتب عليها، وجعلت تلعب فى هدوء ، وتدق فوق ركبتيها بيديها ، وكانت نافذة حجرتى تطل على الطريق ، وبينما كنت منهمكاً فى عملى أكمل الفصل السابع عشر، الذى جعلتُ فيه « براتاب سنغ » ، قد مد يديه وأمسك « بكانشنلاتا » البطلة بين ذراعيه ، وهم بالهرب معها عن طريق نافذة فى الدهليز الثالث فى القلعة ، اذا بمينى تكف عن لعبها ، وتسرع الى النافذة صائحة : « كابولى والا ! .. كابولى والا ! .. »

حقا لقد كان هناك الكابولى والا ، بائع الفاكهة المتجول ، يسير ببطء فى الطريق تحتنا .. كان يلبس رداء واسعاً متسخاً كالذى يلبسه بنو بلده، ويضع فوق رأسه عمامة مرتفعة ، ويحمل حقيبة فوق ظهره ، وصناديق صغيرة بين يديه تحوى عنباً .

اننى لا أستطيع أن أصف شعور ابنتى عندما رأت هذا الرجل ، ويكفى أن أذكر أنها راحت تناديه بصوت مرتفع .. أما أنا فقد تضايقت وقلت لنفسى : « آه ! .. سيأتى الرجل الى هنا ، ولن يتم الفصل السابع عشر ! ... »

فى هذه اللحظة استدار الرجل ، والتفت الى الطفلة ، وما كادت هى ترى وجهه حتى تملكها الرعب ، وجرت الى أمها تحتمى بها ، واختفت عن ناظرى

•• لقد كانت تتوهم أن فى داخل تلك الحقيبة التى يحملها طفلين أو ثلاثة أطفال على شاكلتها •

ودخل البائع بعد لحظات واقترت منى ، وحيانى بابتسامة !

واذ أصبح موقف البطل والبطلة فى الفصل الســابع عشر معلقاً بسبب دخول هذا الطارق ، أسلمت أمرى لله وتوقفت عن التأليف ، وفكرت فى أن أشــترى من الرجل شيئا مما يعرضــه ، ما دامت « مينى » قد دعته الى المنزل • واشتريت بعضاً ، ثم بدأنا نتحدث عن « عبد الرحمن » أحد أمراء كابول ، وعن الروس ، وعن الانجليز ، وعن سياسة تأمين الحــدود ضد هجمات المغيرين •••

وعندما هم بالانصراف سألنى :

ــ وأين البنت الصغيرة يا سيدى ؟

وحينئذ وجدتها فرصة مناسبة لكى تتخلص مينى من خوفها من هــذا الرجل ، فدعوتها لتراه •

ووقفت بجانب مقعدى ، ونظرت الى الكابولى والى حقيبته •• وقدم هو لها بندقاً وزبيباً ، ولكنه لم يستطع اغراءها ، فقد انكمشت وتشبثت بى أكثر من ذى قبل ، وتزايدت مخاوفها !

وكان هذا هو لقاءهما الأول •

وذات صباح بعد بضعة أيام ، وبينما كنت أهم بمغادرة البيت ، فوجئت بمينى جالسة فوق دكة بقرب الباب ، وهى تضحك وتتكلم •• مع من ؟ •• مع الكابولى العظيم وعند قدميه ! •• انها فى كل حياتها ــ كما أعلم ــ لم تشاهد أشد اصغاء واهتماماً مما كانت فى تلك المرة ! •• وكان طرف ثوبها الصغير « السارى » قد حمل اللوز والزبيب ، وهما هدية هذا الزائر •

قلت له :

ــ لماذا أعطيتها هذه الأشياء ؟!

وأخرجت قطعة من ذات الثمانى أنات ، ونقـدته اياها • وقبل الرجل النقود بلا اعتراض ، ووضعها فى جيبه •

ولكن واأسفاه ! •• فانى عندما عدت بعد نحو ساعة ، وجـدت قطعة النقود السيئة الحظ قد سببت مشاكل أكثر من ضعف قيمتها ! •• لقـد قدم الكابولى قطعة النقود الى مينى ، واذ وقعت عين أمها على هذا الشىء اللامع المستدير ، استشاطت غضباً وأخذت تعنف الطفلة قائلة :

ـ من أين أتيت بهذه النقود ؟!

وأجابت الصغيرة مغتبطة :

ـ الكابولى والا أعطانى اياها ••

وصاحت الأم منزعجة :

ـ الكابولى والا أعطاها اياك ! •• كيف تأخذين يا بنت نقوداً منه ؟!

ودخلت فى هذه اللحظة ، وأنقذتها مما يحدق بها ، ورحت أنا أحقق فى الموضوع •

لم تكن هذه هى المرة الأولى أو الثانية التى التقيا فيها ، كما عرفت ، وقد استطاع الكابولى أن يتغلب على مخاوف الطفلة برشـوة مناسبة من البندق واللوز ، وأصبح الاثنان صديقين حميمين !

وكانت لهما فكاهات كثيرة من بواعث سرورهما وتسليتهما •• وكانت مينى تجلس أمامه وتنظر الى جرمه الضخم فى تأمل ووقار ، وتبـدأ هى الكلام ووجهها يتضوأ بالضحك قائلة :

ـ يا كابولى والا •• ماذا تضع فى حقيبتك ؟

ويجيبها بلهجة سكان الجبال :

ـ فى حقيبتى فيل !

وربما لم يكن فى مثل هـذه النكتة ما يضحك كثيراً •• ولكن كم كانا



دكتور تاجور يردد ألحانه بمصاحبة الموسيقى
يؤديها ابن عمه « أبا نندرانات تاجور »

يغتبطان معاً بأى فكاهة ! .. أما بالنسبة لى فقد كنت أجد فى كلام طفلة كهذه مع رجل بمثل هذه الضخامة شيئاً طريفاً حقا !

وكان الكابولى فى جلساته يحرص على دوره فى الحديث حتى لا يكون وجوده مع الطفلة على الهامش ، فيقول لها مداعباً :

ـ حسناً أيتها الصغيرة ! .. ترى متى تذهبين الى منزل حماك ؟

والحقيقة ، كما هى العادة ، أن كل فتاة بنغالية قد سمعت فى الغالب عن منزل حماها فى سن مبكرة ، أما نحن فقد كنا من التقدميين نوعاً ما ، وكنا لا نثير هذه الموضوعات ، أمام الأطفال . ولذلك فان مينى عند سماعها هذا السؤال بدت عليها الحيرة ، ولكنها لم ترد أن تبدو عاجزة ، وأجابت بحسب اجتهادها قائلة :

ـ وهل أنت ذاهب الى هناك ؟

وكان من المتعارف عليه بين الأشخاص الذين من طبقة الكابولى والا ، أن عبارة « منزل الحما » لها معنى مزدوج ، فانها تعبير مهذب عن دخول السجن ، حيث نكون « فى حماه » ، بلا نفقات ولا مصاريف ! .. وبهذه العقيدة يفسر البائع المتجول سؤال الطفلة ، فتراه يهز قبضته فى وجه رجل البوليس الخفى الذى يتخيله ، ويصيح : « أوه ، اننى سأحطم هذا الحما ! »

واذ تسمع مينى هذا منه ، وتتخيل الهزيمة المتوقعة ، تنفجر ضاحكة بكل قواها ، ويشاركها فى الضحك صديقها العجيب .

***

وجاءت أيام الخريف ، وفى مثل هذه الأيام من السنة كان الملوك فى العصور الخوالى يخرجون من قصورهم للغزو . وكذلك أنا ، من غير أن أنتقل من ركنى فى كلكتا ، بدأت أطلق فكرى ليطوف بالعالم كله .. وبمجرد ذكر اسم قطر آخر ، ينتقل قلبى اليه ، وعند رؤيتى لشخص أجنبى فى الشارع ، أهبط عليه بخيالى وأنسج قطعة رائعة من الأوصاف والوقائع

.. فأصور الجبال ، والوهاد ، والغابات المحيطة بأرضه البعيدة ، وكوخه الذى يتوسطها ، وحياته الحرة المستقلة التى يحياها ، ومغامراته العجيبة .. ان مشاهد السياحات ربما كانت تستهوينى أكثر من أى شىء آخر ، ويسبح فيها خيالى جيئة وذهاباً فى حيوية دائمة !

وفى حضور الكابولى والا ، أجدنى أنتقل الى سفح جبل قاحل القمم ، ذى شعاب ضيقة متعرجة تكتنفها قباب عالية .. وأرى قافلة الجمال تحمل البضائع ، وجماعة التجار ذوى العمائم الكبيرة بعضهم يحمل أسلحة عجيبة قديمة الطراز ، والبعض يحمل الحراب .. والجميع يسارعون الى السهول .. وأرى .....

ولكن حبل خيالى ينقطع فجأة .. ان أم مينى تأتى على غير انتظار ، وترجو منى أن « أحذر من هذا الرجل » !

ان أم مينى انسانة جبانة لسوء الحظ .. اذا سمعت أصواتا فى الشارع أو رأت أشخاصاً يقتربون من البيت ، فانها تستنتج فوراً أن هؤلاء اما أن يكونوا لصــوصاً ، أو سكارى ، أو ثعــابين ، أو نموراً ، أو ملاريا ، أو حشرات ، أو دوداً ! .. حتى بعد هذه السنين الطويلة من التجارب ما زالت غير قادرة على التغلب على أوهامها ! .. ولهذا كانت كثيرة الشكوك من جهة كابولى والا ، وقــد جعلت من عادتهــا أن توصينى دائمــا بمراقبــة الكابولى والا !

أما اذا حاولت أن أبدد مخاوفها متلطفا معها ، فانها تلتفت الى وتسألنى فى جد مثل هذه الأسئلة :

ـــ هل الأطفال لا يختطفون ؟ أعنى ألم تسمع عن خطف الأطفال ؟

ـــ هل كذب ما يقال من أن الرق موجود فى « كابول » ؟

ـــ هل من الحمق أن نستنتج أن هــذا الرجل الضخم فى استطاعته أن يحمل معه بعيداً طفلة صغيرة ؟

ولكننى كنت أقول لها ان هذا كله مع أنه ليس مستحيلاً الا أنه بعيد

الاحتمال .. ولكن هذا لم يكن كافيــاً بالنسبة لهــا ، فكانت تصر على التمسك بمخاوفها .. بيد أن هذه المخاوف لم يكن لها سند من الواقع ، ومن غير اللائق أن أمنع الرجل من دخول البيت ، وعلى ذلك ظلت الصلة بين الاثنين كما هى من غير ارتياب فى الأمر .

كان «عبدالرحمن» وهو الكابولى والا ، قد اعتاد فى منتصف شهر يناير من كل عام ، أن يعود الى قريته ، وعنــدما كان يقترب موعد الرحيــل ، يصبح مشغولاً كل الوقت ، فهو يذهب من منزل الى منزل ليجمع النقود من عملائه المدينين .. وفى العام الحالى لم يفت الكابولى والا مع ذلك أن يخصص وقتا ليجىء ويرى « مينى » .. وقد يظن الغريب عندما يرى هذا الاهتمام أن هناك « مؤامرة » بين الاثنين ، فانه كان اذا تخلف فى الصباح لم يتأخر عن الظهور فى المساء !

بل كنت أنا نفسى أتخوف بين الحين والآخر من هذه المواظبة ، غير أنى عندما أرى هــذا الرجل الطويل بثوبه الفضفاض وأحماله من الحقائب ، ومينى تجرى ضاحكة صائحة : « كابولى والا .. كابولى والا ... » ، وأرى الصديقين مع ما يفصلهما من عمر يفصل بين جيلين ، وهما يعودان الى ضحكهما القديم وفكاهاتهما المعتادة ، يعود الى نفسى اطمئنانها وايمانها

***

وذات صباح ، قبــل أن يعول على السفر ببضعة أيام ، وكنت أصحح بعض التجارب المطبعية فى غرفة مكتبى ، والجو شديد البرودة ، ومن خلال النــافذة كانت أشعة الشمس تصل الى وتلمس قدمى ، والدفء المحبب يتولد شيئاً فشيئا ، والساعة نحو الثامنة ، والمارون المبكرون يعودون الى دورهم ورءوسهم مغطاة .. سمعت فجأة ضجة من الشارع ، ونظرت فرأيت « عبد الرحمن » مقودا فى الطريق بين رجلين من الشرطة والقيد فى يديه ، وحولهم جمع من الأولاد الفضوليين .. ورأيت بقعاً من الدم فوق ثيابه ، وأحد الشرطيين يحمل مطواة !

وأسرعت خارجاً ، وأوقفت بعض هؤلاء أسألهم ما الخبر ، واستطعت

مما جمعته منهم أن أعرف أن شخصاً يقيم على مقربة من هنا كان مديناً له بثمن شال ، وهو من جهة « رامبور » ، فلما أنكر أنه اشترى منه شيئا ، اشتبك عبد الرحمن معه فى شجار عنيف أدى الى جرح غريمه بطرف المطواة .. وكان متهيجا فجعل يسبه بكل ألوان السباب .

ورأيت مينى فى هذه اللحظة تظهر فجأة فى شرفة المنزل، وتنادى كعادتها : « كابولى والا .. كابولى والا .. »

ولمع وجه الكابولى وهو يلتفت اليها . لم يكن معه حقيبة تحت ذراعه اليوم ، فلم تستطع أن تتحدث معه عن الفيل .. وانتقلت الى سؤالها التقليدى الثانى : « هل أنت ذاهب الى بيت حماك ؟ »

وضحك عبد الرحمن وقال : « هذا هو بالضبط ما أنا ذاهب اليه أيتها الصغيرة ! » ، بيد أنه وقد رأى الاجابة لم ترض الطفلة ، راح يرفع يديه المصفدتين ويقول : « آه .. سأحطم هذا الحما القديم ، ولكن يدى مقيدتان ! »

وكانت تهمة عبد الرحمن أمام القضاء هى تهمة التهديد بالقتل ، فحكم عليه بالسجن لبضع سنوات .

***

ومر الوقت ، ونسينا عبد الرحمن .. واستمررنا فى عملنا المعتاد فى مكاننا المعهود . لم نعد نشغل أنفسنا برجل الجبل الحر الذى يقضى الأعوام وحيداً منسياً فى سجن مقفل ! .. حتى « مينى » الطيبة القلب قد نسيت — وأقولها فى خجل — نسيت صديقها القديم ! .. لقد ملأ حياتها معارف جدد .. واذ كبرت مينى عن ذى قبل ، صارت تقضى أكثر الوقت مع أترابها الفتيات .. كانت تقضى معهن أوقاتاً طويلة حتى لم تعد تأتى الى حجرة أبيها كما كانت تفعل من قبل ! .. وهكذا لم أعد أجد فرصة الا فى النادر ، للتحدث معها ..

وتلاحقت الأعوام ، وجاء خريف آخر ، ورتبنا كل شىء لتزويج ابنتنا

مينى •• وكان مقرراً أن يتم ذلك فى أثناء أيام الاحتفال بأعيـاد بوچا ••
وكما أن الالهة دروجا ستعود الى زوجها فى جبـال كيلاس ، كمـا تقول
الأسطورة المقدسة ، فكذلك سـيذهب النـور عن بيتنا الى بيت الزوج ،
ويدع الوالد فى الظل !!

كان الصباح مشرقاً ، فبعد أن كف المطر ، بدا الهواء كأنه قد اغتسل فى
المياه وتجمل ، وبدت أشعة الشمس كأسلاك الذهب الخالص ! •• ومنذ
الفجر المبكر انطلقت أنغام العرس من فتحات الغاب ، ومع كل نغمة تنطلق
كان قلبى يقفز !•• وكانت ألحان بهايراڤى الشجية تسعِّر فى مهجتى وقدة
الألم الذى أحسه لقرب فراقها •• ان مينى ستتزوج الليلة !

منذ الصباح المبكر كانت الأصوات والضوضاء تملأ البيت •• وفى الفناء
الكبير كانت هناك الأريكة المثبتة فوق أعواد الغاب السميكة •• وكانت
هناك الثريات البلورية الكبيرة قد علقت هنا وهناك فى كل حجرة وفى شرفة
المنزل ، وقطع الزينة الكريستال المدلاة منها يضرب بعضها بعضاً كأنما ترسل
أنغـاماً رتيبة ! •• وكانت حمى النشـاط والحركة والتعجل تشمل كل
شىء ••

وكنت أنا جالسـاً فى حجرة المكتب أنظر فى بعض قوائم المصروفات ،
عندما دخل شخص وحيانى باحترام ، ثم وقف أمامى •• لقـد كان هـذا
الشخص عبد الرحمن بعينه •• الكابولى والا ! •• ولم أعرفه فى البداية
لم يكن يحمل حقيبة ، وشعره الطويل لم يعد طويلاً •• وعافيته المعهودة
لم تعد عنواناً عليه ، كل ما فعله أنه ابتسم ، وعندئذ عرفته من جديد !

وسألته :

ــ متى أتيت يا عبد الرحمن ؟

قال :

ــ الليلة الماضية •• لقد خرجت من السجن •

وصكت الكلمات أذنى •• اننى لم أتحدث قط من قبل الى رجل جرح

غريه ، واضطرب قلبى فى صــدرى عندما فكرت فى هــذا ، فقد تطيرت وشعرت بأنه كان من الأفضل لهذا اليوم ألا يظهر فيه هذا الرجل .

وتمالكت نفسى وقلت له :

ــ ان هناك احتفالا يجرى الآن .. وأنا مشغول .. أظن أنك تستطيع أن تأتى فى يوم آخر .

رأيته يستدير على الفور ليخرج ، ولكنه عندما وصل الى الباب تردد ، وقال : « ألا تسمح لى ياسيدى بأن أرى الصغيرة للحظة واحدة ؟ »

لعله كان يعتقد أن مينى لا تزال صغيرة كما كانت .. لقد تخيلها تهرول نحوه كما اعتادت أن تفعل ، وتصيح : « كابولى والا .. كابولى والا » .. وتخيل أيضاً أنهما سيضحكان ويتحادثان معاً كسابق عهدهما ، وفى تأثير هذه الصورة رأيتــه قــد أحضر معه بعض اللوز والزبيب والعنب ملفوفاً بعناية فى الورق ، ولعله حصل عليه من قروى آخر بطريقة ما ، لأن نقوده القليلة التى كانت معه ، قد ذهبت .

وكررت عبارتى قائلاً :

ــ ان هناك احتفالاً داخل البيت ، ولن تستطيع أن ترى أى فرد اليوم

وأربد وجه الرجل .. ونظر الى لحظة وهو ساهم ، ثم قال :

ــ نهارك سعيد .

وخرج .

وشعرت بالأسف ، وهممت بأن أدعوه ليعود ، ولكننى وجدته عائداً من نفسه ، واقترب منى ، وأمسك بهداياه وقدمها لى وقال : « لقد أحضرت هذه الأشياء للصغيرة ياسيدى ، هل تتفضل بحملها اليها ؟ »

وأخذتها ، وأردت أن أقدم ثمنها ، ولكنه أمسك يدى وقال : « انك ذو فضل وعطف يا سيدى .. أرجو أن تجعلنى فى ذاكرتك .. لا تقــدم لى نقوداً . ان لك فتاة صغيرة .. وأنا أيضا لى فتــاة مثلها فى بيتى . اننى أفكر فيها وأحضر هذه الفاكهة الى طفلتك، لا لكى أصنع ربحاً لنفسى .. »

ولما فرغ من كلامه وضع يده فى ثيابه الواسعة ، وأخرج ورقة صغيرة قذرة ، وفتحها بعناية بالغة ، وفردها بيديه فوق المنضدة .. كانت تحمل صورة كف صغيرة .. لم تكن صورة ولم تكن رسماً، بل طبعة يد مغموسة فى حبر الختم وضعت مسطحة فوق الورقة .. انها بصمات يد ابنته الصغيرة كان يحملها دائماً معه قريباً من قلبه ، كلما جاء الى كلكتا ليبيع بضاعته فى الشوارع .

وترقرقت الدموع فى عينى .. لقد نسيت أنه بائع فاكهة كابولى فقير ، وأننى .... ولكن لا ! .. ماذا أكون أكثر منه ؟ .. لقد كان « أباً » هو الآخر .

وذكرتنى هذه البصمات لكف صغيرته براقاتى فى بيته الجبلى النائى بصغيرتى أنا .. مينى .

وأرسلت على الفور فى طلب مينى .. لقد كانت هناك صعاب ، ولكننى أغفلتها .

***

وجاءت مكسوة بثوب الزفاف الحريرى الملون ، والنقش فوق جبهتها ، مزدانة بزينة العروس .. جاءت ووقفت أمامى على استحياء ..

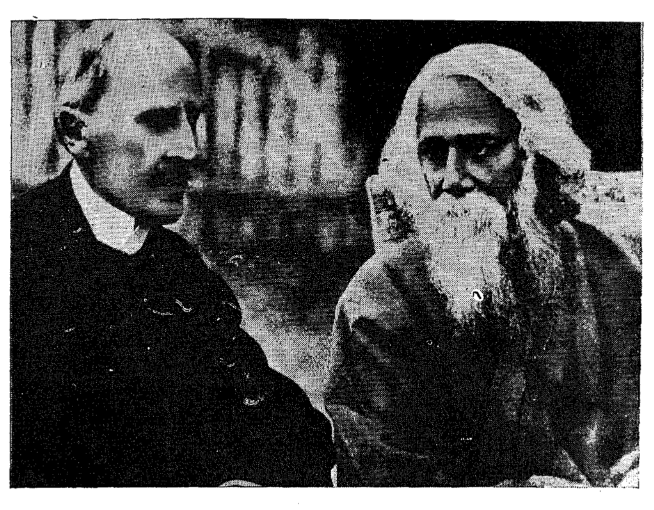
ولمحت فى وجه الكابولى أنه قد شده بما رأى .. انه لم يعد فى الأمكان أن يجدد الصداقة القديمة ، وأخيراً ابتسم وقال :

ـ أيتها الصغيرة .. هل أنت ذاهبة الى منزل حماك ؟

ان مينى الآن تعرف جيداً معنى كلمة « الحما » ، وهى لا تستطيع أن تجيبه كما كانت تفعل .. لقد خجلت من السؤال ووقفت أمامه بوجه كوجه العروس ، يطرق حياء ..

اننى أذكر اليوم الذى التقى فيه « الكابولى والا » و « مينى » لأول مرة .. وشعرت بالحزن ..

وعندما انصرفت « مينى » من عندنا ، تنهد عبد الرحمن تنهيدة طويلة



● الشاعر عند زيارته لاوربا سنة ١٩٢٦ مع الروائى الفرنسى الشهير ((رومان رولان)) ..

وجلس على الارض لقد أدرك فجأة أن ابنته لا بد أن تكون قد كبرت أيضا ، أثناء هذه المدة الطويلة التى تغيبها ، وأنها كذلك لن تعرفه عندما تراه لأول وهلة .. بالتأكيد لن يجدها كما كانت عندما تركها .. ترى ماذا جرى لها فى مدى هذه السنوات الثمانى التى انقطع فيها عن بيته ؟!

انطلقت أنغام الزواج من أعواد الغاب ، وغمرتنا أشعة شمس الخريف .. أما « رحمن » فهو ينزوى فى زقاق صغير فى كلكتا ، ويرى أمامه جبال أفغانستان الجدبة !

وأخرجت ورقة بنكنوت ، وأعطيتها اياه ، وقلت له :

ـ عد الى ابنتك ياعبدالرحمن ، فى قريتك ، وعسى أن تجلب سعادة لقائكما الحظ السعيد لابنتى !

واذ قدمت له هذه الهدية ، رأيتنى مضطراً الى اختصار بعض نفقات الاحتفال .. لم أستطع أن أستخدم الأنوار الكهربية التى كنت أوصيت عليها ، ولا الفرقة الموسيقية الرسمية .. وراحت السيدات فى البيت يتذمرن من هذا التغيير . أما فيما أحسست به فقد كانت حفلة الزفاف هذه أروع وأبدع مما قدرت لها ، لشعورى بأن هناك فى أرض بعيدة رجلاً كان غائباً وضالاً زمناً طويلاً ، قد قدر له أن يلتقى ثانية بطفلته الوحيدة .

وكيل مكتب البريد

كان أول عمل لهذا الموظف فى منصبه الراهن أن يكون وكيلاً لمكتب البريد فى قرية « يولابور » باحدى الولايات الهندية . ومع أن القرية كانت صغيرة ولا تحتاج الى مكتب بريد خاص بها ، الا أنه كان يوجد بالقرب منها مصنع للصباغة ، وقد رتب صاحبه ، وهو رجل انجليزى ، أمر انشاء هذا المكتب .

ورجلنا وكيل المكتب قادم من « كلكتا » .. وقد أحس وهو فى هذه القرية النائية ما تحسه السمكة اذا أخرجت من الماء .. ! كان المكتب والحجرة التى يقيم فيها فى مكان للمبيت بسيط مسقوف بالبوص ، وعلى مقربة منه بركة ماء كالمستنقع ترين فوق وجهها الطحالب الخضراء ، وتحدق بها من كل جانب النباتات البرية الكثيفة .

لم يكن لدى الرجال الذين يعملون فى مصنع الصباغة أوقات فراغ ، وكانوا هم بطبيعتهم لا يصلحون لأن يكونوا رفاقا وأصدقاء لأناس متمدينين ، وهذا القادم من كلكتا لم يكن هو أيضا شخصاً اجتماعياً يعرف أو يألف فن مخالطة الآخرين .. ولا يكاد يرى بين أشخاص غرباء حتى يظن به من هيئته أنه متكبر أو معقد .. على كل حال ، كان صاحبنا بلا رفيق ، سوى شخص واحد صغير ، وكان عمله قليلاً لا يشغل كثيراً من وقته .

كان أحيانا يعود يده على كتابة الشعر .. ان تراقص أوراق الشجر وتجمع السحب تحت قبة السماء ، عاملان يحملان البهجة الى النفس ، والفرحة الى القلب .. هكذا أراد أن يعبر عن خيالاته فى شعره ، والله يعلم أن صاحبنا المسكين سيحس بالمتعة الحقة وبنعمة الحياة الجديدة ، لو أن أحد المردة من الجن الوارد ذكرهم فى « ليالى العرب » قد جاء فى ليلة

فكنس هذه الأشجار بعيدا ، وكنس معها كل الأوراق المتراقصة ، وجعل مكانها طريقاً رحباً مرصوفاً ، وأخفى هذه السحب المتجمعة ، بصفوف من البنايات الحديثة الشاهقة الارتفاع .. !

كان مرتب الرجل قليلاً .. فكان عليه أن يطهو طعامه بنفسه ، وكان فى العادة يقتسم هذا الطعام مع « راتان » وهى صبية صغيرة يتيمة من القرية ، تقوم بأداء الكثير من الأشياء له .

وعندما يدنو المساء ، وتحين الساعة التى يتجمع فيها دخان حظائر البقر فى الجو ، وتنطلق زقزقة العصافير من أعالى الشجر ، ونقيق الضفادع من بؤرة اجتماعها الليلى فى قاع الغدير ، ويحس الشاعر — الذى اعتـاد أن يرقب رقصات أوراق الشجر فى الغابة الكثيفة المحيطة .. ! برعدة تسرى فى بدنه لا يدرك لها تعليلا ، عندئذ يوقد وكيـل مكتب البريد مصباحه الصغير ، ثم ينادى « راتان » :

وتكون « راتان » جالسة فى خارج الباب فى انتظار مثل هذا النـداء ، وبدلا من أن تدخل فورا تجيب قائلة :

— هل تنادينى يا عمى .. ؟

ويقول لها الرجل :

— ماذا تصنعين ؟

فتجيب :

— ان على أن أذهب الى المطبخ لأوقد النار .

ولكن الرجل يقول :

— بل دعى نار المطبخ تنتظر قليلاً ، وتعالى أنت لتشعلى غليونى أولاً .

وأخيرا تدخل « راتان » ، وتملأ شدقيها بالهواء ، وتنفخ بكل قونها فى قطعة فحم لتتوهج وتشـعل الطباق .. وفى هـذه الأثنـاء يتسلى الرجل بالدردشة معها ، فيقول لها مثلاً :

— قولى لى ياراتان .. هل تذكرين شيئاً عن والدتك ؟

انه موضوع خصب للحديث ، وراتان تجيب بأنها تذكر بعض الاشـياء وتنسى بعضها .. تذكر مثلا أن أباها كان شغوفا بها هى الطفلة أكثر من شغف أمها بها ، وهى تذكر عنـه أشياء كثيرة .. كان يأتى الى البيت فى المساء بعد أن ينتهى من عمله ، وأنها تتذكر ليلة أو ليلتين من هذه الليالى بحوادثهما التى غطت على الحوادث الأخرى ، وكانت كالصور الماثلة أمام ذاكرتها .

وتجلس راتان على الأرض بالقرب من قدمى سيدها ، بينما تتزاحم فى رأسها الذكريات، وتحاول أن تستحضر فى ذهنها ذكرياتها مع أخيها الصغير، وكيف حدث ذات يوم تكاثرت فيه السحب ، أن كانت تجلس معه على حافة الغدير وهما يتسليان بصيد السـمك ، وفى أيديهما عود طويل من الغاب فى طرفه السنارة ..

وتجر وراءها هـذه الوقائع الصـغيرة ذكريات كثيرة أخرى تتجمع فى رأسها الصغير ، ويطول بهما الحديث فىأغلب الأمسيات حتى ساعة متأخرة ، ويشعر الرجل بكسل يعـدل به عن طهو الطعام واعداده ، فتسرع راتان وتشعل النـار ، وتنضج عليها بعض العجين من غير خميرة ، فتكون هذه الفطائر الى جانب ما تبقى من طعام النهار ، كافية لهما فى وجبة العشاء .

وفى بعض هذه الليالى ، كان وكيل مكتب البريد يجلس الى مكتبه فى ركن من أركان هذه السقيفة العريضة الخالية من الأثاث ، ويستحضر هو أيضا فى ذهنه بعض ذكرياته عن بلده وبيته ، وعن أمه واختـه .. هذه الذكريات التى تزيد من شعوره بالحنين ، وتزيد فى قلبه الألم .. ذكريات تطارده ولا تفارقه ، ولكنه لم يكن مستطيعاً أن يكشف عنها لأحـد من رجال المصنع ، وان كان قد وجد نفسه مع مرور الأيام لايحس غضاضة فى أن يتحدث بها فى صوت مسموع فى وجود الصغيرة راتان .. وبذلك ألفت الصبية حديثه عن شـئونه وأهله ، وعرفت أحوال أمه وأخيـه واخته ، وأحبتهم كأنها عاشرتهم طول حيـاتها .. ! والواقع أنها قـد ارتسـ[illegible] فى

مخيلتها صورة واضحة عن كل منهم ، والتصقت بها كأنها قد حفرت فى داخل قلبها •• !

***

وعند الظهر فى أحد الأيام ، أثناء هدنة للأمطار ، أقلعت فيها وغيض الماء ، هب نسيم رقيق بارد ، وكانت الرائحة التى يحملها من الحشائش المبتلة وأوراق النبات المعرضة لحرارة الشمس ، يحس بها الجسم كأنها نفس دافىء من أنفاس الأرض المجهدة • وكأن هناك طائرا يواظب فى أوقات ما بعد الظهر من كل يوم ، على أن يبث شكواه ونجواه على رءوس الأشهاد من كائنات الطبيعة •

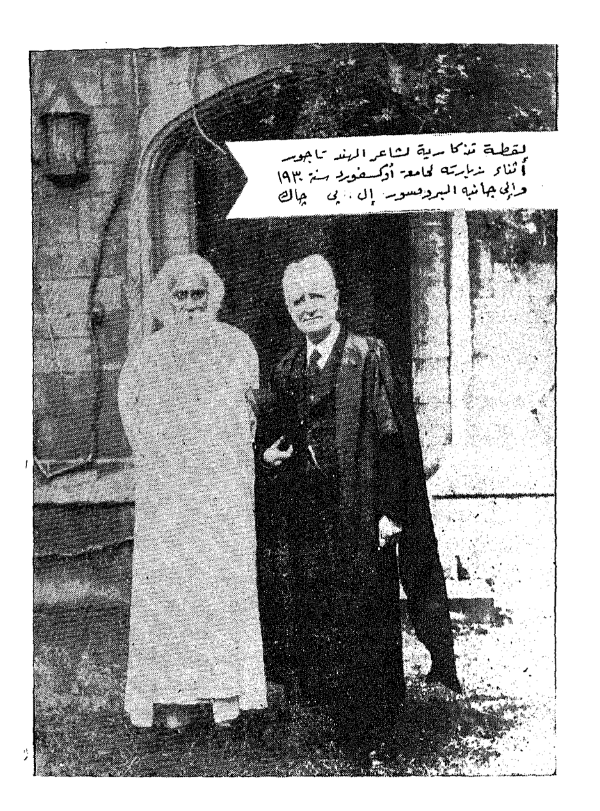
ولم يكن لدى وكيل مكتب البريد فى هذا الوقت ما يفعله •• وكان بريق الأوراق الصبيحة المغسولة ، وقطع السحاب الباقية المتراجعة بعد اجهادها فى اغراق الأرض بوابل من طوفانها ، من المشاهد التى تستحق التأمل •• وكان الرجل يراقبها ويفكر فى نفسه قائلا : « آه •• لو كان لى انسان ، روح لطيفة ، بالقرب منى •• واحدة تهواها النفس من البشر ، أستطيع أن أدنيها من قلبى •• ! »

ان هذا الذى يفكر فيه هو تماما ما يحاول أن يفصح عنه ذلك الطائر الذى يتشكى •• وهو نفسه ما تتمتم به أوراق الشجر وتفكر فيه وتشتاق أن تعبر عنه •• ولكن لا أحد يعلم ، أو يصدق ، أن مثل هذا الخاطر يمكن أن يستولى أيضا على « مستخدم بريد » ، يعمل لقاء مرتب زهيد ، فى قرية نائية ، بلا أنيس ولا جليس ، ولا مقهى ولا ملهى •• ؟

وتنهد وكيل مكتب البريد ، ونادى راتان ••

وكانت راتان فى ذاك الوقت متمددة بجسمها تحت شجرة جوافة ، وفمها مشغول بأكل ثمرات غير ناضجة من الجوافة المتساقطة ، وما كادت تسمع صوت سيدها حتى أسرعت اليه ، وهى تلهث ، وقالت :

— هل ناديتنى يا عمى ؟



لقطة تذكارية لشاعر الهند تاجور
أثناء زيارته لجامعة أوكسفورد سنة ١٩٣٠
وإلى جانبه البروفسور إل. بي. جاك

قال :

ـ انى أفكر فى أن أعلمك القراءة .

تم أمضى معها بقية النهار ، يعلمها حروف الهجاء ..

وواظبا معا على ذلك ، وبعد فترة من الوقت تعلمت « راتان » قدرا لا بأس به من المطالعة ، أو طريقة نطق الكلمات ..

***

كان يبدو أن هطول المطر لن ينقطع .. فالقنوات والحفر والوهاد كلها تفيض وتشرق بالمياه .. كان سقوط الأمطار يسمع ليلاً ونهاراً ، مختلطا بنقيق الضفادع .. ولم تعد الطرق التى تخطط القرية صالحة كما كانت ، حتى حركة الشراء وقضاء الحاجات قد تعذرت الا باستخدام القوارب المائية !

وذات صباح كثيف السحاب ، كانت الصبية قد طال انتظارها خارج البيت دون أن يناديها مخدومها ، فأخذت هى كتاب المطالعة وتسللت الى داخل الحجرة على أطراف قدميها خشية أن تزعج سيدها ، وهناك وجدته مستلقيا فى فراشه ، وظنت أنه يريد أن يستريح قليلاً كعادته ، فهمت بأن ترجع الى حيث أتت ، ولكنها سمعت اسمها فجأة ، فتوقفت والتفتت نحو الرجل وقالت : « هل كنت نائماً يا عمى ؟ »

وأجابها وكيل البريد بصوت ضعيف :

ـ أحس أنى لست بخير .. جسى رأسى ، أليست حرارته مرتفعة ؟

كان الرجل يشعر وهو وحيد فى منفاه النائى ، وفى جو الأمطار المظلم الكئيب بالحاجة الى انسان صغير رقيق يقوم على رعايته وتمريضه .. كان يحن الى أن يتصور فى مخيلته لمسة رقيقة فوق جبينه ، من يد رقيقة يزين معصمها سوار براق ، وأن يتخيل وجود انسانة تحبه ، قريبة منه .. أمه أو اخته ..

ولم يخيب المنفى آماله كلها ، فان « راتان » لم تظل كما كانت الصبية

الصغيرة .. لقد قفزت فى الحال الى مركز الأم ، وأسرعت فأحضرت طبيب القرية ، وجعلت تعطى المريض جرعات الدواء فى المواعيد الموقوتة ، وتسهر الليل بطوله الى جانب فراشه ، وتطهو البقول الموصوفة له ، وتسأله ما بين وقت وآخر لتطمئن عليه :

ـ هل تشعر بتحسن يا عمى ؟

وانقضت أيام كثيرة قبل أن يتمكن وكيل مكتب البريد من أن يترك فراش المرض ، وهو يقول لنفسه فى عزم وتصميم : « يكفى ما وقع .. يكفى هذا القدر .. لا بد من أن أطلب الانتقال من هذه البلدة »

وكتب على الفور طلباً الى « كلكتا » لنقله من هذه القرية على أساس أن المكان غير صحى .

واذ أعفيت راتان من القيام بواجباتها كممرضة ، عادت الى موضعها السابق خارج باب الحجرة . ولكنها لم تعد تسمع سيدها يناديها بعد ذلك . وكانت أحياناً تختلس النظر الى داخل الحجرة ، فترى الرجل جالساً فوق المقعد أو متمددا فوق الفراش ، وهو سارح الفكر يحملق فى الفضاء ، وبينما كانت راتان تنتظر النداء المعتاد لتدخل كان الرجل ينتظر الرد على طلبه الذى أرسله . وأخذت الصبية تقرأ دروسها وتعيد قراءتها مراراً ، فقد كانت تخشى اذا ناداها سيدها أن يكون ذلك لامتحانها فى الدرس !

ومر أسبوع وهى تنتظر ، ثم سمعت اسمها فى المساء ، فاندفعت الى الداخل بقلب مشوق ، وصاحت كعادتها :

ـ هل تنادينى يا عمى ؟

قال :

ـ راتان .. اننى ذاهب غداً .

ـ والى أين تذهب يا عماه ؟

ـ أذهب الى بلدى .. الى منزلى .

ـ ومتى تعود ؟

ـ لن أعود !

ولم تسأل راتان عن شيء آخر • ولكن وكيل مكتب البريد واصل كلامه قائلاً لها أن طلبه الخاص بنقله من هذه المنطقة قد رفض • ولذا فقد قدم استقالته وتهيأ للعودة الى بلده •

وبعد قليل نهضت راتان ، وذهبت الى المطبخ لتعد طعام العشاء ، ولكن من غير تحمس كحماسها السابق •• ان هنالك كثيراً من الأشياء قد دخلت الى ذهنها الصغير لتفكر فيها ••

ولما فرغ الرجل من تناول طعامه سألته الصبية فجأة :

ـ عمي •• هل ستأخذني معك ؟

وضحك وكيل مكتب البريد وقال هازئا :

ـ ما هذا الذي تقولين ؟!

ولم يجد داعياً لأن يشرح للفتاة أين تكمن السخافة في هذه الفكرة •

وظلت المسكينة طول الليل ، أثناء نومها ويقظتها ، تطاردها اجابة سيدها الساخرة المتهكمة : « ما هذا الذي تقولين ؟! »

***

وجاء الموظف الجديد في موعده ، وسلم الرجل اليــه العهدة ، واستعد للرحيل •• وقبل أن يخطو الى الخارج دعا اليه راتان وقال لها : « هذا شيء قليل لك •• أرجو أن يعينك في الحياة بعض الوقت •• »

وأخرج من جيبه معظم ما كان معه من راتب الشهر الذي قبضه •• لم يحتفظ الا بالقليل لنفقات الرحلة ، ومد به يده اليها ••

وجثت الصبية عند قدميه وقالت :

ـ أرجوك يا عمي •• لاتعطني شيئا • لا تهتم بشأني أبدا •• أبدا •

ثم اتجهت الى الخارج ، واختفت عن الأنظار !

وأرسل الرجل تنهيدة حزينة ، وحمل حقيبته ، ووضع مظلته فوق كتفه ، وسار ببطء نحو شاطئ النهر وبصحبته أحد الحمالين ينقل الصندوق الذى يضم حوائجه .

ونزل الى القارب ، الذى أخذ يشق طريقه بين أمواج النهر الممتلىء ، ونظر الى الماء ، وخيل اليه أنه دموع الأرض تصافح جانبى السفينة ، وأحس بحزن عميق يلذع أحناء قلبه .. واستحضر أمام عينيه صورة فتاة القرية ، ووجهها المربد الحزين الذى بدا له أنه يمثل هو أيضاً الحزن الهائل الصامت لدى أمنا الأرض ذاتها .. وخطر له أن يعود الى القرية ليجلب معه تلك الضالة الوحيدة المهجورة فى هذا العالم ، ولكن الريح كانت قد ملأت الشراع واندفع القارب فى وسط العباب ، واختفت حدود القرية كلها عن ناظريه !

ولم يجد المسافر المحمول فوق صدر النهر المندفع المتدفق ، معدى عن أن يعزى نفسه بالفكرة الفلسفية تقول له : كم من لقاء ورحيل على وجه البسيطة فى كل لحظة ، حتى يأتى الموت ، فاذا هو الرحيل الأكبر الذى لا رجعة بعده !

ولكن راتان لا تعرف الفلسفة .. لقد ظلت تحوم حول مكتب البريد ودموع عينيها تبلل خديها . ربما كانت لا تزال تأمل أن يعود اليها الغريب النازح ، وربما كان هذا الأمل هو الذى حفظ لها تجلدها وأبقاها تنتظر وتتنفس .. آه ! ما أغبى طبيعتنا البشرية ! .. ان أخطاءها هى هى ! . ونحن نغرق فى أخطائنا من غير أن نصغى الى نداء الحكمة أو وازع العقل، حتى اذا أفقنا على أثر تجربة قائمة أو ضربة قاصمة، بكينا وولولنا وصحنا : « ليت الذى كان ، ما كان .. »

النصر

هذه القصة نقلت الى الانجليزية من البنغالية بقلم المؤلف نفسه ونشرت أول مرة فى سنة ١٩١٦ ، وقد نقلناها من كتاب (هنجرى ستونز) ((الصخور الجائعة وقصص اخرى)) الطبعة الهنـــدية لماكميلان سنة ١٩٥٨ ص ٢٩ كما ضمها كتاب اخر باسم ((قصص أخرى لتاجور)) طبعة ماكميلان سنة ١٩٥٣ ص ٨٠ بنص مطابق أما القصص الاخرى فى الكتابين فقد تولى نقلها مترجمون آخرون ومنهم : سى٠اف٠اندروز، بمعاونة ((بنا لال باسو)) ، وبربهات كومار موكيرجى ، و ((الاخت نيفيديتا)) ٠٠ بتوجيهات من المؤلف نفسه

وبطل هذه القصة شاعر لم يقدر له أن ينتصر فى الحياة ، ولكنه ظفر بالنصر وهو على فراش الموت ، لان النصر ليس فى أن تقبض على الشىء بيديك ، بل النصر أن تصل الى هدفك ولو قدمت نفسك قربانا من اجله .

الأميرة آجيتا ٠٠ هذه هى التى تلهمه ٠٠٠

أما الشاعر نفسه فلم يرها قط ، مع أنه شـــاعر البـــلاط ، والملك هو نارايان .

وفى اليوم الذى يفد فيه الشاعر لينشد الملك الجديد من شعره ، فانه يتعمد أن يرفع صوته ، لعله يصل الى أسماع اللواتى فى الشرفة العالية ، المغطاة بالستائر التى تحجبهن عن رواد البلاط ، بحيث يستمعن الى مايدور هنالك ويرين كل شىء من غير أن يراهن أحد ٠٠ وبينهن الأميرة الملهمة ٠٠ التى يرســـل اليها أغنياته وهى فى سمائها ذات المنعة ، كأنها وحولها هالة الضوء هى النجم الذى يرسم قدره ومصيره ، ولا يدركه أحد !

ربما يلمح ظلها أو خيالها يتحرك من خلف الستائر ، أو تصل الى أذنه من

بعيد وسوسة الحلى التى تنم عليها وهى تهتز فى معصميها أو تتراقص فى قدميها ، ويكفيه هذا القدر من الاحساس لكى يتخيل هاتين القدمين وهما تخطوان ، فيجلجل بالنغم سواران ذهبيان عند الكعبين فى كل خطوة . ولا يرى فى خياله الا أن هاتين القدمين الرقيقتين ، الورديتين ، تسيران على تراب الأرض رحمة كرحمة الاهة تنزل سكينة ونعمة على الترابيين !

ويضع الشاعر هذه الصورة وهذا الاحساس فى حبة قلبه ، حتى اذا تغنى بشعره غنى هاتين الساقين فى جمالهما المجسم ، وزاوج بين ايقاع شعره وايقاعات هذه الجلاجل والحلى ، وهى تتصافح عند كل نقلة للقدم فى خفة ورشاقة .

ولم يتسرب الى نفسه شك فيمن تكون صاحبة هذا الخيال السارى والطيف الملم من خلف الستار ، ولا فى هاتين القدمين ذات الحلى التى تستجيب لها دقات قلبه كلما انطلقت منهما الوسوسة الحبيبة .

وكانت « مانجارى » ، وصيفة الأميرة ، تمر ببيت الشاعر وهى فى طريقها الى النهر . وكانت حريصة على ألا يمر يوم واحد ، دون أن تلتقى به وتتبادل معه بعض الكلمات فى خفية عن الأنظار . كانت اذا اطمأنت الى خلو الطريق من السابلة ، والظلال تقترب من الأرض عند مغيب الضوء ، تلج باب غرفته فى جرأة ، وتجلس عند طرف البساط ، وكان مظهرها يوحى دائما بأنها تتعمد اختيار لون كسائها ، وتعنى جد العناية بتخير الزهر الذى يحلى شعرها .

وكان الناس يتبسمون ويتهامسون أو يتغامزون ، وهم غير ملومين . أما الشاعر — شيكار — فلم يحاول قط أن يخفى هذه الوقائع عن أحد ، أو يتكتم شعوره بأن هذه اللقاءات هى مبعث سعادة عظيمة لنفسه .

كان معنى اسمها « الأزهار المتناثرة » . ولا شك أن هذا المعنى يليق تماما بتكريم حسناء من أبناء الفناء مهما يكن امتيازها فى أنظار المعجبين . ومع ذلك ، فقد طاب لشيكار أن يضيف اليه زيادة من عنده ، فجعل يصفها بأنها أزهار الربيع المتناثرة .. وهنا لا يستطيع أبناء الفناء السكوت على

هذه المحاباة ، فكلما علم أحدهم بالوصف الجديد هز رأسه وهمس لنفسه : ياه !

وعندما يتغنى الشاعر بأغنيات الربيع التى ينشئها ويهرول الى البلاط الملكى ويقدمها فى حضرة الملك ، تكون « أزهار الربيع » أول من يبدى استحسانه ويطلب الاعادة ، بينما يغمز الملك بعينه ويبتسم له مشجعاً كلما سمعه ، ويجيبه الشاعر بابتسامة مهذبة .

ولكن الملك لا يلبث أن يوجه اليه سؤالا :

ـ أليس للنحلة من شاغل الا أن تطن بالغناء فى ساحة الربيع ؟!

ويسارع الشاعر بالاجابة :

ـ بلى ، انها تشتار الرحيق من أزهار الربيع ..

ويضحك كل من يكون هناك فى قاعة الملك . بل أشيع كذلك أن الأميرة آجيتا بذاتها كانت تضحك لقبول وصيفتها لهذا الاسم الجديد الذى دعاها به الشاعر ، فى حين تحس مانجارى فى قلبها بسعادة فياضة .

هكذا يختلط الصدق بالخداع والحقيقة بالوهم فى هذه الحياة .. والصانع الأعظم ، الله ، يصور الانسان ويضيف اليه ما يشاء من زخرف وزينة .

الا هذين اللذين اختارهما الشاعر مادة لألحانه وانشاده ، اذ كانا يمثلان الصدق فقط ، والحقيقة وحدها .. انهما « كريشنا » المبجل فى الديانة الهندوكية والمتناسخ من «ڤشنو» ، وكريشنا هو المحب الالهى ، و «رادها» المحبوبة على الأرض ، ليكونا المحب الأبدى والمحبوبة الأبدية .. ويمتزج الحزن الذى وجد منذ البداية بالفرح الذى بلا نهاية .

وكانت رنة الصدق فى انشاده وطابع الابداع فى ألحانه يرتدان الى قلبه اعجابا من كل مستمع ، من السائل الفقير حتى الملك نفسه . وكانت أغنيات الشاعر على كل شفة أو لسان .. فى ضوء القمر أو همسات النسيم الخافتة فى ليالى الصيف .. كانت تلك الأغانى تنطلق فى الجو من النوافذ ومن

الساحات ، من القوارب السابحة ومن خلف أشجار الطريق ، وبأصـوات لا عداد لها !

***

وهكذا مرت الأيام سعيدة .. الشاعر ينشد أشعاره ، والملك يستمع ، والحاضرون يصفقون اعجاباً ، والحسناء مانجارى تدلف الى غرفة الشاعر وتكرر الزيارة كلما كانت فى طريقها الى النهر ، والطيف يتحرك من خلف ستائر الشرفة العالية فى الحرم الملكى ، ووسوسة الحلى فى جلاجل القدمين تحس أو تسمع من بعيد ...

فى هذا الوقت تماماً خرج شاعر من موطنه فى الجنوب يبدأ غزواته .. حتى وصل الى الملك نارايان فى مملكة « أمارابور » ، وهناك وقف أمام العرش ، وأنشد أبياتاً يحيى بهـا الملك ، ثم أعرب عن تحديه لكل شعراء البلاط ، ودعاهم الى منازلته ، منذراً بأنه لا بد أن ينتصر عليهم جميعا ، لأنه صاحب فن لا يقهر ولا يشق له غبار .

واستقبله الملك بحفاوة وخاطبه قائلاً : « أيها الشاعر ، اننا نرحب بك » .

وأجابه « بانداريك » الشاعر بفخر :

ــ يا صاحب الجلالة .. انى أطلب الحرب .

ولم يكن شيكار شـاعر البـلاط يدرى كيف تدور المعركة ولا كيف تُشَبُّ حرب الشعر .. فلم ينم ليلته تلك . ان بانداريك بقامته المهيبة ، وشهرته الواسعة، وأنفه الذى يشبه السيف العربى المحدب، ورأسه الشامخ المعمم فى جانب منه ، قد أطبق على ملكة الشاعر وأسره فى الظلام !

حتى اذا أقبل الصباح ، جاء شيكار وبقلب مرتعـد دخـل الى حلبـة المناظرة . وكان المسرح ممتلئا بالجماهير .

وحيا الشاعر خصمه بابتسامة ، وقفـاها بانحناءة . ورد بانداريك على ذلك بحركة خفيفة من رأسه ، ثم أدار وجهه ناحية الجمهور والحلقة من حوله مزدانة بالأزهار ، وابتسم ابتسامة ذات معنى .

وألقى شيكار نظرة فى اتجاه الشرفة العالية ذات الأستار ، وحيا ملهمته فيما بينه وبين نفسه قائلا : « لئن انتصرت فى معركة اليوم ، يا سيدتى ، ليكونن ذلك تتويجاً لاسمك النبيل ! »

وانطلق صوت النفير ايذاناً ببدء الحفل ، ووقف الحشد العظيم وهتف بنصر الملك .. وقدم الملك فى زيه الأبيض الرفيع يتهادى فى خطاه ويبدو كسحابة سابحة فى فصل الخريف ، حتى بلغ مقعد العرش فتبوأه .

وانتصب « بانداريك » واقفا ، وران السكون على جو الساحة الرحبة . وبجبين مرفوع وقامة معتدلة وصدر متصدر ، بدأ يلقى شعره فى اطراء الملك نارايان بصوت جهورى قوى كصوت الرعد ، وانطلقت كلماته تضرب جدران القاعة كأمواج البحر العالية المتلاطمة ، وبدت كأنها تصدم أضلاع المستمعين أيضا .. وكانت المهارة التى أبداها وهو يولّد معانى متعددة متجددة للاسم الملكى « نارايان » ، وينتظم كل كلمة منها فى نسيج شعره على صور مختلفة من الصياغات والمزاوجات والمقابلات، قد بهرت الحاضرين وأسرت ألبابهم وأنفاسهم !

وبعد أن انتهى من انشاده وعاد الى مقعده ، بقى صدى صوته يتردد ما بين أعمدة البهو التى لا عداد لها ، فى القاعة الملكية وفى كوامن أفئدة المستمعين الذين يعدّون بالآلاف ، وان كانت الأفئدة لا تتكلم .

ومن الصفوف الأولى ، حيث يجلس علية القوم وكبار الأساتذة الوافدين على المكان من كل مكان ، ارتفعت أيديهم اليمنى وصاحوا : « براڤو !! » .

ورمق الملك وجه « شيكار » بنظرة منه ، وكانت اجابة شيكار أن رفع عينيه للحظة فى اتجاه سيده وهما تفيضان ألما ، ثم وقف متثاقلا كغزال يلعق جروحه بعد مطاردة صيد .. الوجه شاحب ، والرهبة تلحقه بحالة امرأة خجول مضطربة ، وقامته القصيرة وجسمه الضئيل النحيل يجعلانه قريب الشبه من آلة الڤينا الموسيقية ذات الأوتار وهى تكاد تتقطع عند أول لمسة ولا تصدر صوتاً !

كان خافض الجبين ، خفيض الصــوت عندما بدأ •• وكانت مقطوعاته الأولى ليست بذات بال •• وشيئاً فشيئاً طفق يرفع رأسه ، وصوته الحلو الواضــح يرتفع ويحلق فى الأجواء كشــعل من لهب •• وراح ينشــد الحاضرين مما استوحاه من أسطورة قديمة عن أرومة ملكية تاهت فى أغوار الماضى ، ولكنها ما لبثت أن شقت طريقها بقوة واحتفظت بمقوماتها وأصالة معدنها ومحتــدها ، حتى انتزعهــا بطل من صلبها ببطولتــه وتفوقه الذى لا يغلب ليرسى مكانته فى الحاضر المجيد •••

وهنــا ثبت نظرته على وجه الملك ، وهو يضمن لحنه الشعرى كل حب الشعب الوافى للبيت الملكى، فكان كاللازمة التى تجمل أغنيته وعقود الزهر التى تحيط بالعرش من كل جانب • واختتم انشــاده وهو مازال مضطرباً بقوله متجهاً بخطابه الى الملك :

ـــ يا صــاحب الجــلالة ، ربما أكون منهزماً فى مجال التناظر بالكلمات ، ولكننى لست كذلك فيما يختص بحبى لذاتك الملكية •

واتخذ مقعده ، وجلس •

وملأت الدموع أعين المستمعين ، واهتزت الجدران بصيحات النصر •

***

وعاد بانداريك ينهض واقفاً يواجه الحشد ، وهو يشمخ بأنفه ويسخر من هذه المشاعر المتفجرة لدى الجماهير ، ويهز رأسه باستهزاء •• وانطلق يوجه الى الجمع ســؤالاً من قبيل براعة الاستهلال : « ماذا تعرفون عن سحر الكلمات ؟ »

ووجم القوم وصمت الجميع وآذانهم مصغية •

واسترسل الشــاعر يبرهن ببراعة فى اظهار علمه ، على أن « الكلمة » كانت هى البداية ، وأن الكلمة هى الله •• واستخلص شــواهد من بعض الكتابات على أن الكلمة تتقدم كل شىء فى السماء كما فى الأرض ، ثم عاد يكرر سؤاله بصوته القوى :

« ماذا تقولون عن امتياز الكلمات ؟ »



في قاعة ألف ليلة
بفندق النيل هيلتون
بالقاهرة، اشتركت فتيات
وسيدات الجالية الهندية
في أداء بعض ألحان
الشاعر العظيم

ثم التفت حوله فى كبرياء ينتظر من يجيبه • ولم يجرؤ أحد على أن يقبل تحديه•• وفى تؤدة ذهب الى مقعده ، وكأنه ليث فرغ لتوه من تناول وجبة دسمة من احدى ضحاياه •

وصاح أعيان القوم من مقاعدهم هاتفين : « برافو !! »

وبقى الملك ساكنا وهو متعجب ، بينما أحس الشاعر شيكار فى قرارة نفسه بأنه ليس شيئاً الى جوار هذا العلامة العملاق •

وانفض الجمع مكتفيا بهذا القدر فى يومه ذاك •

***

وطلعت شمس اليوم التالى •

وأخذ شيكار ينشد لحنه أمام الحشد الكبير ، وقد صور فيه أنغام الناى المحب الذى انتشى بها الهواء الساكن فى غابة « ڤريندا » عندما انطلقت أول مرة • ولم تكن الحسناء راعية الغنم هناك تدرى من هو الذى ينطلق بهذه الألحان ولا من أين تجىء •• كانت الألحان تبدو فى تصورها كأنما تأتى من قلب ريح الجنوب ، ثم تتصور أنها انما تجىء من السحب المتناثرة فى الفضاء فوق التلال •

ويخيل اليها أن هذه الأنغام تتهادى حاملة معها رسالة موعودة للقاء من أرض الشروق ، ثم تمضى نحو المغيب وهى تطلق آهة من الحزن • وتلوح النجوم كأنها وقفات للناى وهو يفيض بأحلام الليل ألحاناً وأنغاماً • والموسيقى كأنما تتدفق كلها معاً من كل ناحية •• من الحقول والغابات ، من الأزقة الظليلة والطرق الموحشة ، من الزرقة الذائبة فى الجو ومن خضرة الزروع اللامعة ، وهى كلها ــ هذه الكائنات ــ لا تعرف معنى هذه الألحان ولا تستطيع التعبير عما فى القلوب من أشواق •• وربما امتلأت عيون الكائنات بالدموع ، وربما تمنت أن يقدر لها الموات ليكون قرباناً لأمانيها •

واندمج الشاعر فى أداء دوره ، وتناسى الحشد من حوله ، ونسى أنه

وقف ليجرب قدرته أمام خصم قوى الشكيمة .. ووقف بمفرده لا تحيط به سوى أفكاره وخواطره تخامره وتصافحه كأوراق شجرة ظامئة تلفعها نسائم الصيف ، وأخذ يغنى « أغنية الناى » ، وفى مخيلته رؤيا الصورة التى أخذت ملامحها من الخيال والظلال تتحرك خلف الأستار ، وصدى رنين الجلاجل الذهبية من ايقاع قدمين رشيقتين .

ثم توقف وجلس فى مقعده .

واهتز المستمعون من جديد ، من رنة الحزن الذى يولد من سعادة لا تتحقق ، وفرحة لم تتم ولم تتضح ، على سعتها وعظمها .

ونسوا أن يحيوه بالتصفيق أو الاستحسان !

وعندما خف هذا الاحساس لدى الحاضرين بعد قليل، وقف «بانداريك» أمام عرش الملك ، وتحدى خصمه أن يعرض لبطلى القصة .. وأن يصور بعباراته وانشاده ذلك المحب وتلك المحبوبة . وتلفت حوله فى كبرياء وابتسم فى وجوه النظارة ، ثم استأنف . يردد سؤاله :

ـ من هو كريشنا المحب ؟ ومن هى رادها ، المحبوبة ؟

وراح يحلل أساس هذه الكلمات ، وما تعنيه من ترجمات مختلفة لمعانيها. وصور أمام الحاضرين مذاهب المدارس المختلفة لمنطق ما وراء الطبيعة ، فى مهارة فائقة .. كان يفصل كل حرف فى هذه الأسماء عن مجموعته ، ويتابعه بالتحليل والتعليق والمنطق حتى لا يبقى منه شىء !

ثم يتناوله ويجعل الروح تدب فيه من جديد ، ويعطيه معنى ولونا قشيبين لا يمكن أن يفكر فيهما أو يتخيلهما أحد الا أن يكون من عتاة صناع الكلام المحنكين !

وانتشت الأعيان بسحر بيانه ، وروعة ألحانه ، وقوة انشاده ، وحيوه بكل ما ادخروه من تحمس ، وتابعهم الجمع فى اظهار استحسانهم ، وقد وقعوا أسرى انفعالاتهم بما رأوا ، وخيل اليهم أنهم قد تحققوا الآن من عبقرية ذلك الخصم ، وأن الحقيقة الكاملة قد سفرت أمامهم ، وأيقنوا أن

شاعرهم المتواضع لم يصمد أمام هذا الفذ الذى مزق الأستار ، وكشف عن خصم متخاذل أمام بطل مغوار !

هكذا خلب ألبـابهم بألعابه حتى أثر فيهم وسلبهم حرية الارادة ، فلم يسألوا أنفسهم عما اذا كان هذا هو وجه الحق ، وعن وجه الحقيقة مجردة بعد ذلك كله !

أما الملك فقد روعه هذا الذى رآه .. لقد أخـذ كل شيء يتضح أمامه على الرغم من خـداع الموسـيقى ، وبدت المرائى من حـوله تتحول من الصباحة والملاحة والرقة والخضرة الى صـلابة الطرق المشققة وخشـونة الأرض التى ديست فيها الأزهار ثم عبدت بأرتال من الأحجار !

وبقى الشعب واقعـاً تحت تأثير الخـلابة اللفظية ، وقـد حكموا على شـاعرهم بالفهاهة والعى والحصر ، وبأنه ليس الا صبياً اذا قورن بذلك العملاق ، الذى يسير بكل يسر ، يذلل كل الصعاب فى طريقه عند كل خطوة يخطوها ، فى عالم الألفاظ والخواطر . وأحسـوا للمرة الأولى بأن تلك الأشعار التى كتبها كلها تافهة وساذجة ، ولو أنهم حاولوا تقليدها بأنفسهم لما أعجزهم ذلك .. انها ليست فى وهمهم بجديدة ، ولا ممتنعة ، ولا هى مثرية بناءة ، ولا داعى لها على الاطلاق !

وحاول الملك من جانبه أن يحرك شاعره ليستأنف النزال والمسـاجلة ، فكان يخصه بنظراته المستورة ، ويأمل فى صمت أن يثيره ويحثه على القيام بمحاولة أخيرة . ولكن وا أسفاه ! .. فان « شيكار » وهو فى دوامة أفكاره لم يلحظ شيئاً من ذلك ، وبقى مشدوداً الى مقعده .

ونزل الملك وهو غاضب من عرشه العالى ، وخلع من فوق سترته الملكية سلسلة لؤلؤية ووضعها فوق رأس « بانداريك » ، علامة فوزه .. وهتف لهذا المشهد كل من فى القاعة . ومن الشرفة العـالية سمع صـوت خافت لثوب وسلسلة ذات جلاجل ذهبية .

وقام شيكار عن مقعده ، وغادر المكان .

***

كانت ليلة معتمة والقمر فيها متآكل منكمش . هناك أخذ الشاعر أوراقه من أماكنها فوق الرفوف ، وكومها فوق أرض الغرفة . كان بعضها يحتوى على كتاباته الأولى فى عهد الصبا ، التى كاد أن ينساها ، وقلب الأوراق وهو يقرأ شيئاً هنا وشيئاً هناك . وبدت كلها فى حكمه خاوية خابية .. مجرد ألفاظ ومقطوعات صبيانية !

وراح يمسك بالورق واحدة بعد أخرى ويمزقها جذاذات صغيرة ، ويلقى بها فى وعاء يشتعل بالنار وهو يقول : « اليك ، أيتها النار المطهرة .. احترق فى قلبى كل سنواتى العقيمة .. لو كانت حياتى قطعة ذهب لكانت تخرج عند صهرها أكثر لمعانا ، ولكن حياتى لم تك الا حزمة أعواد من النجيل جافة ، ولن يتبقى منها شىء الا هذه القبضة من الرماد ! »

وزحف الليل . وفتح شيكار نوافذ غرفته ، ونثر فوق سريره زهرات كثيرة بيضاء من الأنواع التى أحبها دائما .. الياسمين ، والفل ، والكريزانتيم ، وجمع فى غرفته كل القناديل التى لديه فى حجرات المنزل وأضاءها . ثم جاء بأعواد سامة ومزج بها بعض العسل وتجرعها ، واضطجع فى فراشه .

وفى هذه اللحظات ، سمعت وسوسة الحلى عندما تحركها الأقدام ، قادمة من الممر خارج باب غرفته ، ورائحة العطر يحملها النسيم ويتسلل بها الى الداخل .

وقال الشاعر وهو مغمض العينين :

ــ أيتها السيدة ، هل أخذتك الشفقة أخيراً على خادمك فجئت لتلقى نظرة عليه ؟

وجاءه الجواب بصوت ساحر حلو :

ــ نعم يا شاعرى ، لقد جئت اليك .

وجاهد شيكار حتى فتح عينيه ، ليرى عند سريره شكل امرأة . ولم يستطع أن يتبينها بوضوح ، فقد أخذ نظره يضعف ويغيض ، ولكنه شعر

بأن الصورة أو الطيف الذى أجلسه على عرش قلبه بعيداً عن العيون قد خرج الى عالمه الظاهر فى آخر لحظة ليتطلع الى وجهه •

وقالت السيدة : « أنا الأميرة آچيتا » •

وبجهد أكبر تحامل على نفسه حتى استطاع أن يرفع رأسه عن الفراش ويجلس قاعداً • وهمست الأميرة فى أذنه قائلة :

ـــ ان الملك لم ينصفك • انك أنت الذى فاز فى المساجلة يا شـــاعرى ، وقد جئت لكى أتوج بنفسى رأسك باكليل النصر •

وتناولت عقد الزهر من حول عنقها ، ووضعته فوق رأسه •••

ووقع الشاعر على حشيَّته فى فراشه مستسلماً للموت •



رئيس التحرير

عنــدما كانت زوجتى على قيد الحيـاة ، لم أكن أولى ابنتى الطفلة « بروبهـا » اهتماماً ظاهراً ، بل واقع الأمر أنى كنت أشـغل تفكيرى بأم الطفلة أكثر من انشغالى بالطفلة ذاتها .

كانت عنايتى بها عادية أو سطحية .. لا تتعدى الملاطفة ، أو الاصـغاء الى ثرثرتها الساذجة ، وأحيانا أتابعها وهى تضحك أو تلعب . وكلما كان من اليسير علىّ شىء من ذلك رحت أداعبها أو أدللها ، حتى اذا أحسست أن تماديها فى اللعب والعبث بدأ يضايقنى ، سارعت بمحاصرتها وعهدت بهـا الى والدتها بلا تسامح أو تباطؤ .

وأخيراً ، عندما جاءت وفاة زوجتى المباغتة ، فان الطفلة قد سقطت من ذراعى أمها ووكل القدر بها الىّ ، ولم أتردد فى أن أضمها الى قلبى .

ولكن يصعب التمييز بين أى من الأمرين أكثر صدقاً من الآخر، هل كنت أنا الذى رأى نفسه مسئولا عن العناية بهذه الابنة اليتيمة وتعويضها عن حنـان أمها المفتقد ، أو هى التى أحست أن من واجبها أن تعنى بوالدها الذى لا زوجة له ، وتحوطه باهتمام مضاعف .

ان حكمى أنا يدلنى على أنها منذ سن السـادسة بدأت تقوم بدور ربة البيت . كان من الواضح أن هذه الابنة الصغيرة قـد نصّبت من نفسها القيّم الوحيد على والدها المسكين !

وقد ابتسمت لهذا الخاطر بارتياح ، ولكننى فى الوقت نفسـه أسلمت نفسى بكليتى لخطتها وجعلت أمرى طوع يديها .. وما لبثت أن لاحظت أننى كلما بدوت عاجزاً عن تدبير أمر نفسى أو قليل الحيلة ، كان ذلك من دواعى اغتباطها !

وكنت ألاحظ أنى حتى لو تناولت ملابسى من فوق المشجب ، أو ذهبت لآخذ مظلتى ، أراها قد ظهر على وجهها الغضب ، كأنما قد جُرحت كبرياؤها .. كان واضحا أنها تظن أنى بذلك أجور على حق من حقوقها !

ولم لا ؟ انها لم تحظ من قبل بعروسة أو دمية تلهو بها بهذا الاتقان الذى رأته فى والدها .. ويالى من دمية ! انها تغرى بأن تطعمها بنفسها وتحس من جراء ذلك بسعادة عظيمة ، وليس الاطعام وحسب ، بل كانت هى التى تهتم بملبسى ومشربى ، حتى اذا ذهبت الى فراشى كانت هى التى تحرص بنفسها على مراعاتى واصطحابى لتطمئن علىّ وأنا فى سريرى حتى أسلم نفسى للنوم .

وعلى ذلك فلم تكن لى فرصة أمارس فيها دور الأبوة ، الا عندما كنت أدّرس لها مبادىء الحساب ، أو أعلمها القراءة فى كتاب المطالعة .. هنا ربما كنت أزاول بعض سلطتى !

وكان يؤرقنى بين الحين والحين ، اتجاهى الى التفكير فى مستقبل هذه الابنة ، وفيما أستطيع فعله لكى أدخر لها جانباً من المال تقدمه الى عروس المستقبل « دوطة » أو بائنة تحفظ لها مكانها وترضى به تطلّع رجلها ..

نعم ، لقد أحسنت تربيتها وتعليمها ، ولكن ماذا تكون عليه الحال لو أن طارق بابنا كان من الغباء بحيث لا يعرف لغة العلم مثلما يعرف لغة المال؟

ولذلك عوّلت على أن أحاول مزاولة عمل لكى أكسب به مالا . وكنت فى هذه المرحلة من كبر السن الى حد لا أستطيع معه أن ألتحق بوظيفة حكومية ، وكذلك لم يكن لى من النفوذ والمكانة ما يتيح لى الالتحاق بعمل لدى أصحاب الأعمال ..

وبعد أن أعملت الفكر طويلا ، قررت أن أكون ... « مؤلفا » ، أكتب كتباً . واذا كنت لم أعد أصلح لعمل كبير ، فقد يكون فى مقدورى أن أبذل بعض الجهد للقيام بعمل مفيد .. ان قصبة الغاب اذا ثقبت يمكن أن تكون وعاء لحمل الزيت أو الماء ، واذا أجهدت وكثرت ثقوبها يمكن أن تتحول الى حلية نافعة عندما تنفخ فيها لتطلق أنغاماً ، من غير أن تتكلف فى

سبيل ذلك شططاً أو تحيل الوعاء الى الاستيداع •

كنت مقتنعاً بأن الرجل الذى لم يعد نافعاً بالنسبة لمقاييس المجتمع ، يمكنه على الأقل أن يتحول الى حلية أو قطعة من الزينة ، وأن الانسان الذى لا ينتج فى بعض المجالات أو التخصصات ، قد يستطيع أن ينتج أدباً

ومدفوعاً بهذه الأفكار المنطقية ، بدأت فكتبت تمثيلية فكاهية من نوع « الفارْس » • وقرأها الناس ، وقالوا انها جيدة ، وقدر لها فعلا أن تقدّم على المسرح •

واذ تذوقت طعم الشهرة ، لم أستطع أن أنصرف عن هذا الطريق ، ووجدت نفسى منساقاً وراء الاكثار والاستمرار •• وكلما مرت الأيام رأيتنى أسترسل فى تأليف الملهاة بعد الملهاة ، يحركنى فى ذلك تضميم مقيم

ولم تتهاون « بروبهـا » فى الاضطلاع بدورها •• فكانت تأتى الىّ والبسمة فوق فمها ، وتذكّرنى فى تلطف قائلة :

ــ أبى ، هذا هو وقت الحمّام بالنسبة لك •••

ولكننى لم أعد أباها المعهود الخامل الذى لم تسحبه دوامة الشهرة وسراب النجاح ، اننى تغيرت وصارت لهجتى معها عندما أرد عليها أن أصدها قائلا :

ــ اغربى عنى ، اذهبى ! •• ألا ترين أننى الآن مشغول ؟ لا تزعجينى !

وتنسحب الطفلة المسكينة وتتركنى ، من غير أن يحس بها أحد ، وقد اربدّ وجهها وغشيته كآبة وقتامة كمصباح ذهب ضوءه فجأة عند اطفائه !

وطردت الخادمات ، وتعودت أن أعامل من بقى من خدم بالضرب لا بالكلمات ، واذا تصادف مجىء بعض المتسولين وبدأوا أغنياتهم للاستجداء ، وجدت فى ذلك ازعاجا ، وجريت خلفهم أطاردهم وفى يدى العصا • واذ كانت غرفتى تطل على الطريق، فقد كان بعض السابلة يتلبثون ويسألوننى لأرشدهم الى الاماكن التى يريدونها ، ولكننى كنت أطلب منهم بدلا من أن أجيبهم ، أن يذهبوا الى الجحيم !

أواه ! يبدو أن أحداً لا يأخذ بعين الاعتبار أنني مشغول .. مشغول ، بكتابة الكوميديات من أفكه طراز ، ومن أحدث صيحة !

***

ولكن .. بعد هذا « المشوار » الطويل ، لم أصب المال الذى أسعى وراءه كما أصبت شهرة ونجاحاً فى عالم الضحك والعبث .. ومع ذلك فلم أنزعج ، على الرغم من أننى كنت أرى « الخطّاب » يتحولون عن طريقنا ويذهبون الى عرائس أخريات لا يشتغل آباؤهم بتأليف الكوميديات من الفارْس والڤودڤيل !

وحينئذ لاحت لى فرصة رائعة ، ثم هبطت واعترضت طريقى .. ان أحد أعيان القرية « جاهيرجرام » وهو من كبار الملاك ، قد أنشأ جريدة ، وأرسل الى يطلب منى أن أكون محررا مسئولا لهذه الجريدة ، وقبلت المنصب .

وخلال الأيام الأولى لعملى الجديد ، جعلت أدبّج المقالات وأكتب بقوة وحماسة وبراعة لفتت أنظار قراء الجريدة ، حتى صار الناس اذا رأونى فى الطريق يشيرون الى بأصابعهم ، كما يشار بالبنان الى انسان بعينه فى قمة النجاح ، وخامرنى احساس بأن جبينى يزدان بهالة وضيئة كهالة نجم رفيع من نجوم السماء !

وكانت هناك قرية أخرى الى جوار قرية « جاهيرجرام » ، وتدعى « آهيرجرام » ، وفيها وجيه آخر من كبار الملاك المنافسين للمالك الأول .. وكانت المنافسات بين الرجلين لا تتوقف أو تهدأ خفيّة وظاهرة ، ولكن القانون كان يفرض على الرجلين السلام والتعقل . فلما ظهرت أنا ، لم أرض بهذه المهادنة التى يفرضها الخوف وقلة الحيلة ، فاتخذت موقف الرجل المأجور المكلف بالقيام بدورٍ لحساب أحد الخصوم . وكل من رآنى بعد ذلك كان يشهد بأنى قد وضعت نفسى بجدارة فى مستوى المنصب !

وأمعنت فى تدبيج المقالات القوية النارية التى تلفح فى كل عدد وجه

الخصم فى « آهيرجرام » بلهبها وشواظها ، حتى لم يعد يقوى على أن يرفع رأسه .. لقد استطعت أن ألطخ بمداد قلمى سيرة خصمنا ونسبه وأصوله وفروعه !

وفى أثناء تلك الفترة ، كنت أشعر بالرضا لاقتدارى على ما قمت به .. وانعكس أثر ذلك على نفسيتى ومعنوياتى ، فاكتسبت امتلاء فى الجسم ، ونمّ تورّد وجهى عن شخصية توحى بالعبقرية والنجاح ، وكنت دائم الاعجاب بنفسى لأنى استطعت أن أوجه حملتى الى الخصم بكل عنف وذلاقة لسان ، وما يكاد صاحبنا فى « جاهيرجرام » يطلع على سيافها حتى يتفجّر جانباه من شدة الضحك ، كبطيخة زاد نضجها وخرج ماؤها من قشرها ..

وكان ذلك يزيدنى سعادة ومتعة .

ولكن جاء يوم اضطر فيه مالك « آهيرجرام » هو الآخر أن يصدر جريدة . وجعلت سياستها فيما تنشره ألا تعمد الى المداراة ، فكانت تنشر المقالات المقذعة المكشوفة ، ولا تلتزم بأى دستور لآداب الحوار أو المناظرة . وكانت لغة الجريدة فاضحة سوقية يكاد كل حرف فى كلماتها يصفع وجه قارئه . وأدت هذه الطريقة الى أن كل قارىء فى القريتين كان يسهل عليه قراءة موادها ويدرك معانيها ومراميها بلا أدنى عناء ، ويتعاطف معها أكثر من سواها .

وكنت أنا ملتزماً بأدب الكتابة ، وبالأسلوب المهذب واللغة الراقية التى لا تهبط الى مستوى الصحيفة الأخرى ، ولذلك كان أسلوب السخرية البليغ فى كتاباتى الذى لم أتحول عنه ، كان قلما يخلّف تأثيره الايجابى فى نفوس أصدقائى أو أعدائى على السواء !

وكانت النتيجة أنى وان كنت أنتصر ببلاغتى فى معركة الأساليب ، فقد كنت أرى قرائى لا يشعرون بانتصارى . ومن احساسى باليأس ، اضطررت فى النهاية الى أن أكتب مقالا وقوراً عما ينبغى من مراعاة أدب الخطاب حتى لو كانت حرب الهجاء والملاحاة دائرة ، وأشرت الى ضرورة التحلى بالذوق السليم فى مجال القراءة الأدبية . فماذا كانت النتيجة ؟ لقد تبينت أننى اقترفت خطأ قاتلا ! ..

ذلك لأن الأساليب والأشياء الوقورة تغرى بالتعرض لها والسخرية منها أكثر من الأشياء العارية والشائنة فى ذاتها ، ومن أجل هذا فان كل محاولاتى لارساء قواعد للتعقل والتزام الأدب ، قد باءت بنتيجة عكسية ، واتسع المجال للتمادى فى ابراز الطريقة المضادة ، والازراء بمسوح الوقار والوعظ والارشاد التى عفّى عليها الزمن !

وأمسك صاحب العمل عما تعودته منه ، فلم يعد يظهر لى اهتمامه واغتباطه كما كان يفعل • وصار الشرف الذى كنت قد وصلت اليه يتضاءل ، ويتبخر كمّاً وكيفا •• واذا خرجت الى الطريق ، لم أجد أحداً يتحول عن وجهته ليأتى ويتجاذب معى الحديث حول ما قرأه لى فى آخر مرة ، ليظهر اعجابه بما كتبت ، كما كان المارة يفعلون ذلك من قبل • بل لقد تمادوا الآن فى تعريضهم بى ، فصار بعضهم لا يحس حرجاً اذا هو جرى ورائى وضربنى على كتفىّ وهو يسخر ويضحك ويطلق علىّ أوصافا هازئة !

وفى الوقت نفسه ، تبينت أن أولئك الذين كانوا معجبين بمؤلفاتى فى مجال الكوميديا المسرحية ، التى كانت سببا فى اشتهارى ، قد تناسوا تماماً هذا الماضى بكل ملامحه •

وشعرت بأنى صرت كعود ثقاب احترق حتى آخر جزء فيه !

وتجمد عقلى من اليأس ، فلم أقو على كتابة سطر واحد بعد ذلك •• بل لقد كان شعورى أننى فقدت كل شهية فى نفسى للحياة •

***

وشبّت « بروبها » وفى قلبها التهيّب منى • لم تكن تجازف بالاقتراب نحوى الا اذا استدعيتُ • لقد أقنعت نفسها بأن التعامل مع دمية عادية من عرائس السوق آمنُ وأفضل لها من مصاحبة عبقرى كأبيها شغل نفسه بكتابة الكوميديات !

وذات يوم فوجئت بأن جريدة « آهيرجرام » قد طلعت وصفحاتها خالية من الهجوم على صاحب العمل الذى أشتغل لحسابه ، وبدلاً من ذلك حولت دفة المعركة نحوى •• وكان ما نشرته الجريدة شيئاً قبيحاً فاضحاً

صبئته علىّ كدش بارد .. وجاءنى الأصدقاء والمعارف واحداً بعد الآخر وفى يد كل منهم نسخة من الجريدة ، حتى اذا جلس فى مواجهتى راح يقرأ ما فيها من هجاء واقذاع ، وكلهم يضحك بملء قلبه !

وقال بعضهم انهم وان كانوا لا يوافقون على هذه السخرية ، الا أنهم لا ينكرون أن هذه المناوشات قد كتبت بكل مهارة . فى ذلك اليوم وحده تقاطر على مكتبى نحو عشرين شخصاً ، جعلوا يتناولون ذلك الحدث من وجهة نظر اتفق فيها الجميع ، فيما عدا اختلافات يسيرة تكسر رتابة الموضوع .

كان أمام منزلى حديقة صغيرة ، وقد رحت أتمشى من خلال ممراتها فى تلك الليلة بلب شارد يعتصره الألم . وعندما مرت الأطيار فوقى عائدة الى أعشاشها ، وقد أحاطت نفسها بما فى جو المساء من هدوء وسلام ، أدركت بوضوح أنه لا يوجد بين الأطيار من كل الألوان والأحجام من يختص بالكتابة للصحف ، ولا من يدير مناقشة حول آداب النقاش أو أحكام الذوق الرفيع .

***

كان هناك سؤال واحد ، بعد كل ما مرّ بى ، يقلقنى ويحيرنى ، هو : ماذا أفعل فى هذه المواجهة ؟ .. ان عيب التزام الأدب، هو أن هذا الالتزام لا يجد ما يستحقه من تقدير لدى الطوائف المختلفة من الناس بقدر متساو .. فبعضهم يرونه عجزاً وتراجعاً ، وبعضهم يرونه قلة حيلة ، وقلة منهم يرونه فضيلة . وعلى ذلك فقد آليت أن تكون اجابتى من جنس ما يشهر ضدى من سلاح أو سهام .. ولن أقبل على نفسى أن أرضى بالانهزام ، أو الاستسلام .

وفى اللحظة التى بلغت فيها هذا الحد من رسم الخطة ، تهادى الى سمعى صوت أليف رقيق ، من خلال الظلام المخيم على المكان فى تلك الليلة . وعقب ذلك أحسست بلمسة دافئة رقيقة فوق يدى . وكنت فى

حالة من الاضطراب وشرود الذهن حتى أنى مع ألفتى لهذه اللمسة وهذا الصوت ، لم أكن على يقين من أنى أعرف مصدرهما !

بيد أننى ، فى اللحظة التالية ، وبعد أن راح الصوت وتلاشت اللمسة ، رن صدى الصوت فى أذنى ، ودبت الحيـاة لهذه اللمســة فى ذاكرتى •• وجاءت طفلتى تقترب منى ثانية فى بطء ، وهمست فى أذنى قائلة : « أبى »

ولما لم تجد جوابا ، رفعت يدى اليمنى ، وقربتها برفق من جبينها ، ثم قفلت فى صمت عائدة الى المنزل •

ان « بروبها » لم تنادنى هكذا من زمن طويل ، ولا داعبتنى بمثل هذه الألفة • ومن أجل ذلك فان قلبى فى ذلك اليوم وعند لمسة محبتها ، قد حن اليها بكل نبضة من نبضاته •

ولما عدت الى المنزل بعد قليل ، رأيت « بروبها » ترقد فى سريرها •• وكانت عيناها كالمغمضتين ، وكان واضحاً أنها تعانى من ألم •• كانت ترقد كزهرة سقطت على الأرض فى نهاية اليوم •

وضعت يدى فوق جبينها ، فوجدت أنها مصابة بالحمى •• كانت أنفاسها ساخنة ، ونبضها يسرع مرتفعاً مضطربا •

وأدركت أن الطفلة المسكينة وقد أحست بوخزات الحمى ، توجهت الىّ بقلب ظامىء تنشد حب أبيها وملاطفته لها ، فى حين كان هو يتدبر أمر مقال متسعر جديد يرد على هجوم الخصوم !

ولم أدرك الفرحة كما أدركتها وقتئذ ، وأنا أسلّم — من غير نزال — بالهزيمة •••

لقد أخذت طفلتى بين ذراعىّ عندما ذهبت أمها • والآن وبعد أن تخلى أبوها عن شواغله وأزاح الخصم الذى حال بينه وبينها ، فقد ضمّها من جديد الى قلبه •

على درج النهر

هذه محاولة اخرى لنقل نص الى العربية بتعبير لا يفتقد اللمسة الشاعرية ، والتعبير الشاعرى غير أسلوب الشعر ، لان أسلوب الشعر هو الشعر بأوزانه وقوافيه وصياغته ، أما التعبير الشاعرى فهو سياق مرسل لا يختلف عن ألوان النثر الا فى استخدام لغة الشاعر — لا لغة الشعر — وتضمينها فى سياق الكلام حتى يميزه عن الطابع الرتيب للنثر ، ويرتفع بمستواه الى الافق الذى اعتاد الشاعر أن يحلق فيه .

وهذا مع الحفاظ على يسر اللغة والاسلوب وتقريبهما من روح العصر وذوق القارىء ، وعلى عدم الخروج على الاصل ، بل أكثر من ذلك هى محاولة للاقتراب من فهم المؤلف وتعبيره الذى زوده بطابعه الشاعرى بحكم طبيعته كشاعر ، ويستوى فى ذلك من أعماله ما نقله هو الى الانجليزية وما قام على ترجمته الاخرون اذ كانوا حريصين على ادراك ما تعنيه مصطلحات المؤلف وتعابيره الشاعرية ليأتوا بما يقابلها فى النصوص الجديدة .

ولدينا الدليل على كل ذلك والامثلة من النصوص الانجليزية لبعض هذه القصص .. ولنذكر هنا مثلا أو اثنين من الامثلة القريبة فى قصة « مملكة ورق اللعب أو الكوتشينة » هناك عبارة تقول : « خذ بنا بعيدا » ، والمقصود انه تعبير شاعرى لقولنا : « لنذهب بعيدا » . وفى قصة « كان هناك ملك ذات يوم » كلمتا « الاجنحة السبعة » ولم يقصد المؤلف الاجنحة التى للطير ، بل زوايا البناء البارزة التى عبر عنها بالاجنحة ، وهو تعبير معروف ، ولكنه فى الوقت نفسه تعبير رقيق .. تعبير « شاعرى » . وفى قصة « عودة الطفل » قوله (الاحتفال الصامت) تعبيرا عن تصوير المؤلف للشمس فى ساعة الغروب المهيب . وفى قصة « النصر » قوله (النجم الذى يرسم له قدره) كتعبير شاعرى عن وصف بطل القصة للاميرة التى أحبها ..

وليس لدينا من أدوات نجاح هذه المحاولة سوى صدق الرغبة .. وحسن النية !

أنا دَرَج النهر المقدس ، المفضية الى شاطىء الحجيج ، عنـدما يفدون. ويتطهرون بماء « الجانجا » من أدران الشر فى موسمهم المعلوم من كل عام

واذا كنت محبا للاستطلاع ، ورغبت فى أن تسمع طرفا مما يحدث هنا ، فتعال واجلس على درجة من هذه الدرج التى هى أنا ، وحاول أن تصغى الى أحاديث المياه التى تصطفق أمواجها بلا انقطاع ••••

هذا هو الشهر الموعود أشوين (سبتمبر) قد كاد أن يطل •• والنهر فى قمة فيضانه ، ولم يتبق من درجى ظاهراً فوق الشاطىء الا أربع درجات •• لقد زحف الماء حتى غطى الأجزاء المنخفضة من شاطىء النهر ، حيث كانت براعم « الكاشيو » قد ارتفعت بغزارة محتمية بالأغصان العالية لأشـجار المانجو •

فى هذه البقعة تقوم ثلاثة أماكن مبنية بالطوب ، ولها قباب تطل على ماء النهر من حولها • وبعض قوارب الصيد مشدودة الى جذوع شجر البابلا القائم عند الشـاطىء ، معرضـة لدورات المد التى تأتى عنـد الفجر • وهناك الممر المكسو بالنجيل العالى على الشاطىء الرملى ، يستقبل الاشراقة الجديدة للشمس كل صباح ، وزرعه يوشك أن يزدهر ولكن لم تكتمل براعمه بعد •

عندئذ تتحرك القوارب الصغيرة الى رحلاتها القصيرة فوق صفحة الماء التى لمعت بضـوء الشمس •• ويجىء الراهب البرهمى ليغتسل بماء النهر المقدس ومعه الأوعية المخصصة لاتمام الشعائر الدينية •• وتأتى السيدات كل اثنتين أو ثلاث معاً ليأخذن الماء • هنا تذكرت أن هذا هو الموعد الذى تجىء فيه « كوسوم » الى درج الماء المعد للاستحمام •

ولكننى فى ذلك الصباح لم أرها • لقد جاءت الى حمام النهر «بهوبان» و « سوارنو » وتبادلتا الحديث • قالتا ان صديقتهما قد رحلت الى منزل زوجها ، الذى يبعد كثيراً عن موقع هذا النهر ، ولا بد أنها لم تصـادف الا أناساً غرباء ومنازل مختلفة وطرقاً جديدة •

ومع مر الزمن كادت صـــورتها أن تتلاشى من ذاكرتى • ومر عام •

وصارت النسوة اللواتى يأتين للاستحمام قلما يتحدثن عن «كوسوم» ...

ولكننى ، فى ذات مساء ، ذعرت عندما فوجئت بالقدمين الأليفتين الى جدا تلمسان كيانى درجة بعد درجة . أجل انهما هما .. ولكنهما فقدتا سوارهما ــ أعنى الزوج ــ وفقدتا معه موسيقاهما التى عهدتها فى الماضى!

لقد أصبحت « كوسوم » أرملة . وقيل ان زوجها قد ذهب للعمل ، فى مكان بعيد ، وانها لم يتيسر لهـا لقاؤها به الا مرة أو مرتين . ثم جاءتها رسالة تحمل اليها نبأ وفاته .. أرملة ، وان لم تتجاوز سن الثامنة ، وقد وجدت نفسها تضطر الى ازالة العلامة الحمراء من فوق جبهتها ، وكانت علامة الزواج ، وتخلع الحلى التى تزين معصميها وصدرها ، ثم تعود ثانية الى مسكنها القديم بالقرب من « الجانجا » . ولكنها لم تجد من رفيقات الصبا فى منطقتها الا القليلات .. لم تجد « بهوبان » و « سوارنو » أو « أمالا » ، فقد تزوجن وذهبن الى بعيد ، ولم تبق الا « سارات » التى قيل انها هى أيضا توشك أن تتزوج ، وربما تم ذلك فى شهر ديسمبر التالى

وكلمـا زاد ارتفـاع النهر حتى الامتلاء ، من فيضـان المطر ، كانت « كوسوم » كذلك يوماً بعد يوم تزداد جمالاً ونضارة وشبابا .. لا يحد من ذلك كله الا « السارى » القاتم اللون الذى ترتديه ، والامساك عن التجمل ، والصمت الكئيب الذى أرخى ســترا يخفى جمالها الحقيقى ، وجعلها فى عيون الرجل كأنها مغلفة بالضباب .

ومرت عشر سنين . ولم يبد أن أحداً قد لحظ أن «كوسوم» قد أخذت تنمو أكثر فأكثر .

***

وذات يوم كهذا اليوم ، عند نهاية شهر بعيد من شهور سبتمبر ، جاء ناسك (سانياسى) .. من البراهمة ، طويل القامة ، صغير السن ، جميل الطلعة والبشرة ، فى وقت لا أذكره الآن ، واتخذ صومعة له فى « معبد شيفا » المقابل لهذه الدرج . وكان مجيئه حدثاً بارزاً انتشر نبأه فى كل أنحاء القرية . وتقاطرت النســوة على المكان وتركن جرارهن وتزاحمن حول المعبد ، يؤدين انحناءة تبجيل للناسك الطوباوى .

واشتد الزحام يوماً بعد يوم . وانتشرت شهرة « الســانياسى » بين النساء خاصة ، اللواتى تناقلن أخباره وبرامج خدمته التعبدية .. انه فى يوم معين سيتلو قراءات من أسفار « بهاجافادجيتا » المقدسة لدى الطوائف الهندوكية ، وفى يوم آخر سيقدم شرحاً لبعض نصوص « الجيتا » ، أو بعقد اجتماعاً خاصاً بهذه النصوص فى المعبد . والتجأت الكثيرات اليه .. بعضهن لطلب المشــورة ، وبعضهن لأخــذ تعويذة أو بَرَكَة ، وأخريات يلتمسن الشفاء على يديه .

ومرت الشهور .. حتى جاء شهر أبريل ، وفى وقت كســوف الشمس الذى يؤذن بممارسة طقوس التطهر من الشرور بالاغتسال بعيداً عن الضوء السماوى ، وفد حشــد كبير الى هنا للاستحمام فى مياه « الجانجا » . وأقيمت سوق صغيرة تحت شجرة البابلا الضخمة ، واتجه جمع وافر من الحجيج الى زيارة « السانياسى » ، وكان من بينهم فريق من الســيدات جئن من القرية البعيدة التى انتقلت اليها « كوسوم » خلال فترة زواجها

كان الوقت صباحا .. وكان السانياسى يتنقل فوق دَرَجى وهو يردد مزاميره ، واذا بواحدة تهمس فجأة فى أذن الأخرى قائلة :

ــ يا للسماء ! انه زوج صاحبتنا كوسوم !

وأسرعت الأخرى تزيح خمارها بأصبعيها عند عينيها ، وصاحت :

ــ أوه ، انه هو .. انه الابن الأصغر لأسرة « شاترجو » فى قريتنا !

وقالت ثالثة وهى تحرك خمار وجهها قليلا :

ــ أجل ، انه يأخذ نفس الملامح .. الجبهة ، الأنف ، العينين .

وأوغلت أخرى فى عباب الماء ، ومن غير أن تلتفت الى السانياسى أخذت تحرك جرتها فى جوف الماء ، ثم تأوهت وتمتمت :

ــ واأسفاه ! ان الشاب لم يعد كذلك .. انه لن يرجع .. يالسوء حظك ياكوسوم !

وهنا برزت احداهن واعترضت قائلة :

ــ ولكنه لم يكن بمثل هذه اللحية الكثيفة .

وقالت أخرى :

ــ ولم يكن هكذا نحيفاً ...

وقالت أخرى :

ــ ولم يكن غالباً فى مثل هذه القامة الفارعة .

وانتهى الأمر عند هذا الحد .

***

وذات مساء ، والقمر مكتمل ضوءه ، جاءت « كوسوم » وجلست فوق آخر درجة من دَرَجى فى مواجهة النهر ، واكتسيت أنا بظلها من الخلف .

ولم يكن هناك أحد فى حمام النهر سواها ، وكانت بعض الضفادع تطلق نقيقها من حولنا ، وأصداء الأجراس النحاسية فى المعبد قد تلاشت .. بعد أن أخـذت آخر موجات من أصـواتها تضعف شيئا فشيئا حتى انحسرت كانحسار الظل مع تغير الزمن .. وعلى صفحة الماء المعتمة لنهر الجانجا ، بقى خيط يتضوأ بنور القمر . وتوزعت الظلال هنـا وهنـاك .. على الشاطىء من ورائنا ، وفى ذرا الشجر والأعواد ، وعند قدمى المعبد ، وعند المنازل المهدمة ، والى جوار خزان الماء .. ثم تجمعت وتفرقت حتى أسبغت على المنطقة كلها مشهداً ساحرا .

وظهرت الخفافيش تتأرجح معلقة فى أطراف الشجر، وعلى مقربة من تلك المنازل ترتفع أصوات الثعالب ثم لا تلبث أن تغرق فى دوامة الصمت .

وعلى هينة جاء السانياسى من معبده . وهبط درجات من درج الحمام النهرى المنذور للحجيج ، وعندئذ رآها .. رأى امرأة تجلس وحيدة فوق الدرج ، وكان على وشك أن يعود أدراجه من حيث أتى ، وفجأة رفعت « كوسوم » رأسها ، والتفتت خلفها ، واذا خمارها بغير ارادة ينزلق بعيداً عن وجهها ، ووقع ضوء القمر على وجهها وهى رافعـة اياه .. وفى تلك اللحظة مر زوج من البوم فوق رأسيهما منطلقين بصوتهما المزعج . ونبّه الصوت « كوسوم » فاستعادت وعيها وأسرعت تغطى وجهها بالخمار على عادتها ، ثم انحنت فى احترام عند قدمى السانياسى .

وبارك الناسك حولها ثم سألها : « من أنت ؟ »

وأجابت بقولها : « اننى أدعى كوسوم »

ولم تنطق كلمة أخرى فى ذاك المساء .. ذهبت « كوسوم » عائدة فى بطء الى منزلها الموحش . غير أن السانياسى ظل جالساً فوق دَرَجى .. لساعات طويلة ، فى تلك الليلة ذاتها .. وأخيراً بعد أن تحرك القمر من الشرق الى الغرب ، وأصبح وجهه فى مواجهة السانياسى ، قام ودخل المعبد

ومن ذلك الوقت ، كنت أرى « كوسوم » تأتى فى كل يوم وتنحنى عند قدمى الناسك . واذا أخذ يمسك بكتابه ويشرع فى الشرح ، كانت تتخذ لنفسها ركنا فى بهو المعبد وتصغى اليه .. وبعد أن يفرغ من خدمته التعبدية كل صباح ، كان يدعوها اليه ويتحدث معها عن العقيدة . ولم تكن تدرك كل ما يقوله ، ولكنها مع ذلك كانت تصغى الى كلامه باتتباه وهى صامتة ، وكانت تحاول أن تتفهم أقواله . وكلما وجهها بتعاليمه الى شىء انقادت له فى اخلاص وزاد يقينها وايمانها بما تتلقى . وجعلت تخدم فى المعبد كل يوم ، جادة فى تعبدها .. كانت تجمع الأزهار لتقدمها قربانا من أجل المصلين ، وتنقل الماء من النهر لتغسل به أرض المعبد .

وأوشك الشتاء أن يصل الى نهايته .. وكنا نعانى من ريح باردة .. ولكن كنا نجد بين وقت وآخر نسائم الربيع الدافئة تأتى من غير أن تتوقعها ، من الجنوب . وكذلك بدأ الجو تخف حدة البرودة فيه، والنايات تنبعث ، والموسيقى تملأ جو القرية بعد طول سكون . وأصحاب القوارب ينزلون بقواربهم الى الماء لتنطلق فى اتجاه التيار ، ولا يحوجهم ذلك الى تجذيف ، وترتفع الأصوات بالغناء الذى تردده جميع الاغنيات لكريشنا .. انه فصل الحياة .. فصل الربيع !

فى هذا الأوان ، بدأت أفتقد « كوسوم » .. فقد مضت فترة لم تزر فيه المعبد ، أو ملتقى الحجيج ، أو السانياسى !

ماذا حدث بعد ذلك ؟ لا أدرى ! .. غير أنه حدث بعد زمن أن التقى الاثنان من جديد عند الدرج .. السانياسى وهى ..

وسألت « كوسوم » الناسك وهى تخفض رأسها وتغضى بعينيها :

ــ سيدى ، هل أرسلت فى طلبى ؟

ــ نعم ، لماذا لم أعد أراك ؟ لماذا تحولت عن الاهتمام بخدمة الآلهة ؟

وبقيت ساكتة .

ــ حدثينى عن أفكارك من غير تحفظ .

ورفعت رأسها قليلا ثم قالت :

ــ اننى خاطئة ، ياسيدى ، ولذلك أخفقت فى عبادتى .

وقال السانياسى :

ــ ياكوسوم .. انى أعلم أن قلبك غير مستقر .

واضطربت قليلا ، وشدت طرف السارى تغطى به وجهها وهى تجلس على الدرج عند قدمى الناسك ، وراحت تبكى !

وابتعد قليلا ثم قال لها :

ــ قولى لى ماذا فى قلبك . وسأرشدك الى طريق السكينة ليكون لك سلام .

وأجابت بلهجة من لا يتزعزع ايمانه ، وقد تتوقف أحيانا كلما أعوزها التعبير :

ــ اذا أذنت لى فاننى أتكلم. ولكننى على كل حال لن أستطيع التوضيح تماما . وأنت أيها السيد لا بد أنك تعرف كل شيء . لقد كنت أربط نفسى بواحد كأنه اله .. كنت أكاد أعبده ، وكانت نعمة العبادة الصادقة تملأ قلبى الى أقصاه ..

« ولكننى ذات ليلة ، حلمت بأن معبود قلبى يجلس فى حديقة ما ، ويمسك بيمناى فى يده اليسرى ، ويهمس لى بكلمات الحب . ولم يكن هذا المشهد بكل تفاصيله يبدو لى غريبا .. لقد تبدد الحلم ، ولكن أثره علىّ لم يذهب .

« وفى الليلة التالية وأنا أتطلع الى رؤياه، رأيته يزورنى فى صورة أوضح من ذى قبل •• وهذه الصورة التى حلمت بها سكنت فى عقلى • وقد جريت بعيداً عنه وأنا ممتلئة بالخوف ، ولكن الصورة لم تفارقنى أبداً !

« ومن ذلك الوقت لم يذق فؤادى طعم السلام •• ان كل شىء يظلم فى داخلى ! »

وبينما كانت تمسح دمعها وهى تحدثه بهذه الرواية ، أحسست ــ أنا الدرج المفضية الى النهر ــ أن السانياسى كان يضغط بعنف على أحجارى بقدمه اليمنى •

***

ولما انتهت من كلامها ، قال لها الناسك :

ــ يجب أن تذكرى لى من هو الشخص الذى رأيته فى الحلم •

وأطبقت يديها فى توسل وقالت :

ــ لا أستطيع •

ولكنه أصر قائلا :

ــ يجب أن تخبرينى عمن يكون •

ولفت يديها أكثر س . ات :

ــ هل لا بد من الجواب ؟

قال :

ــ نعم ، لا بد •

عندئذ ، تكلمت وهى تبكى وقالت :

ــ انه أنت •• أيها السيد •

ثم سقطت بوجهها فوق أرضى ، وأخذت تنتحب •



• صورة نادرة للسيدة «مريناليني ديفي» زوجة الشاعر (١٨٨٤) ..

وبعد أن استعادت هدوءها وقامت من مكانها ، قال الناسك فى تؤدة :

ـ اننى تارك هذا المكان الليـلة ، وعلى ذلك فلن ترينى ثانية . اعلمى أننى « سانياسى » .. ناسك، ولست تابعاً لهذا العالم . وينبغى أن تنسينى

وأجابت « كوسوم » فى صوت خفيض :

ـ نعم ياسيدى .

وعاد السانياسى يقول :

ـ انى أستأذن فى الذهاب .

وبغير أية كلمة أخرى ، انحنت « كوسوم » له ، وأخذت شيئا من تراب قدميه ووضعته فوق رأسها امعانا فى الايمان .

وغادر المكان .

وغاب القمر ، وزادت ظلمة الليل ، وسمعت رجفة فى المـاء ، وصفرت الريح فى الظلام ، كأنما تريد أن تطفىء النجوم التى فى السماء .

دراســــة

وجهة نظر

شاعر ، وقاص ، ومؤلف مسرحى ، وفيلسوف ، وناقد أدبى ، ومفكر ، وعالم صوفى ، وملحن ، وفنـــان مصور ، وموسيقى ، ورائد تعليم وتربية ·· صفات متعددة لشخصية واحدة هى شخصية : « رابندرانات تاجور » ·

ولو كان هذا النابغة المتعدد الجوانب والمواهب ، قد جمع كل هذه الصفات بغير أن يتميز فى كل منها ، لما نال كل هـــذا الالتفات والتقدير الجماهيرى والعالمى ، ولوجدنا من بين أصـــحاب البراعات فى الشمال والجنوب والشرق والغرب من يضارعه أو يباريه · وانما هو فى الواقع ، فى كل صفة من صفاته ، وكل موهبـــة فيه على حدة ، قد برز تبريزا يبلغ حد الاعجاز ··

ففى ميدان **الشـــعر** ، نبغ وحلق وتفرد بالنسق العالى فى الفكرة والصياغة ، وأنشأ من شعره الغنائى والرمزى وتمثيلياته الشعرية أكثر من ١٥٠٫٠٠٠ بيت ، حتى توجت أعماله الشعرية بجائزة الادب العالمية السنية التى لا تعلو عليها جائزة أخرى ، وهى « جائزة نوبل » ·

وفى ميدان **التأليف الروائى** ، وضع المسرحيـات والروايات العديدة والقصص الكثيرة · وهى تصل فى كثرتها الى ضعف حجم نتاجه الشعرى · وقد بلغ بهـــا ذروة التأليف الادبى والدرامى ، وذروة ما يتطلبه الفن من مضمون ، وحبكة ، وصراع ، ومواقف ، وبراعة حوار ، ولمحات انسانية ، ولمسات فنية ، ومن واقعية فيها العظة والعبرة ، أو رمزية فيها الحكمة والمثل ، أو البلاغة وقوة الصياغة ·

وفى ميدان الموسيقى والالحان ، استطاع أن يضـــع ما يقرب من ألفى مقطوعة شعرية · وأن يضطلع بنفسه بوضع ألحانها كلها أو أكثرها · بل كان يؤديها بنفسه غناء كأروع ما يكون الغنـــاء ، وأبدع ما يكون اللحن والموســيقى · ويبلغ من شغف أبناء الهند بها ـ وهم ذواقون للفن عريقون فى تمرسهم بالالحان والاغانى ـ أن اختاروا احــــدى أغانيه نشيدا قوميا رســميا لكل الهند ، وخرجوا بمجموعة أغنياته وألحانه « رابندراسانجيت » من البنغال ، وأذاعوها بنصوصها البنغالية بين عشرات الملايين فى أنحاء الهند ، التى تتكلم بالعديد من اللغات !

وفى ميدان **الفنون** ، كشف عن موهبة التمثيـــل والاداء المسرحى المثالى وهو بعد شــاب يافع ، لم يتخط سن العشرين · وكذلك اقتــدر على التصوير بريشــته الملهمةفى سن متأخرة ، فاذا هو يبز المشاهير من راسخى الاقدام فى فنون الرسم، واذا هو يختط مذهبا ويبتكر أساليب لم يسبقه اليها أحــد ، واذا هو يبدع أعمالا ولوحات تستلفت أنظار النقاد المعترف بهم فى النطاق العالمى ·

وفى ميدان التربية والتعليم ، نراه يفجر ثورة فى النظم التعليمية والتربوية ، ويضع أسسا جديدة ومفيدة لتلقين العلم واعداد ناشئة صالحة وأجيال مستنيرة ، وينشىء بنفسه مدرسة متحررة من المناهج والنظريات والفصــول المغلقة ، ويقوم

بنفسه بدور المعلم والمثقف والمربى . وتثمر ثمرات نبوغه وأفكاره ونظمه فتتسع المدرسة وتنمو ، حتى تصبح جامعة عظمى يقصد اليها طلاب العلم من كل مكان فى العالم .

وهذا حديث سريع لم أفصل لك فيه ، أيها القارىء ، أطرافه وحدوده .

★ ★ ★

ولد الشاعر منذ مائة وبضع سنوات ، وعندما انتقل من عالمنا الى عالم الخلود ، كان قد امضى ثمانين سنة وبضعة أشهر ، مفعمة بالنشاط الادبى والفنى، وحافلة بجلائل الاعمال . وفى غضون ذلك حظى بتقدير الهيئات الادبية والمحافل العالمية ، وتوج أول شرقى يحرز جائزة نوبل للاداب فى سنة ١٩١٣ . وفى سنة ١٩٢٦ زار مصر زيارة تاريخية لقى فيها من أعلامها وأدبائها كل تقدير وتكريم ، كما قام بهذه الزيارة ثانية خلال جولاته ورحلاته الواسعة فى انحاء كثيرة من أوربا وأمريكا ودول العالم . واحتفل بتكريمه فى سن السبعين فى وطنه الهند ، سنة ١٩٣١ ، وبعد عشر سنوات ، فى سن الثمانين ، ودع الارض وحملته أجنحة الشعر والفن والالهام الى السماء .

هذا هو شاعر الانسانية والسلام والمحبة «**تاجور**» ، الذى نتمنى أن يكون هذا الكتاب الصغير الذى نهديه الى المكتبة العربية والى روح الشاعر فى ذكرى ميلاده العاشرة بعد المائة ، زهرة فى باقة تكريم للشاعر الخالد الذكر .. شاعر الانسانية العظيم .

لقد احتفلت الهند أخيرا بذكرى الشاعر والموسيقى العظيم «**تانسن**» ، بمناسبة مرور ٤٠٠ سنة على ميلاده ، كما احتفلت قبل ذلك بشاعر الملاحم « **كاليداسا** » صاحب « **شاكونتلا** » و « **ميج دوت** » ، وبعد ذلك بشاعر الاوردية المسلم «**أسد الله ميرزا غالب**» . واذا كان تانسن هو شاعر عصر المغول ، وكاليداسا هو شاعر العصر الكلاسيكى ، و « فالميكى » هو شاعر الملاحم ، فان **تاجور** هو شاعر العصر الحديث . واذا كان البعض يظن أن الهند قد عقمت فلم تنجب الا واحدا فردا ، فان تتابع هؤلاء الاعلام يعد من الشواهد الدامغة على أن تربة الهند خصبة وغنية ، وأنها قد أنجبت ويمكن أن تنجب دائما النوابغ من الحكماء والملهمين

هذا الكتاب

لقد أتيح لهذا القلم الصغير أن يقدم من أعمال تاجور العظيم ، فى هذا الكتاب، مسرحية « تشيترا » القصيرة ذات الفصل الواحد ، وعددا محدودا من أقاصيصه، منقولة الى العربية فى هذا القالب الذى توخيت أن أرضى فيه مع بساطته وقربه ، نزواتى الشاعرية . وأعنى بذلك أن الشاعر له نزعة وله لغة خاصة به ، اذا استخدمها فى انشاء الشعر كانت هى اللغة المسماة باللغة الشاعرية ، واذا استخدمها فى الكتابة المرسلة لم تزايله نزعته وطبيعته ، فصبغ كتابته بصبغة جمالية ، مستوحاة من لغته المتخيرة ومن ذوقه وحاسته الفنية .

وقد نقلت هذه المختارات ولا أزعم أنى نقلت أو ترجمت شيئا هنا يزيد على قطرات من محيط . ومؤلفات « تاجور » التى قيل انها فى دائرة المعارف تملأ أسماؤها فى أصلها البنغالى سبع صفحات ، وخمس صفحات للمترجمات منها ،

لم نغترف منها فى هذه الصفحات الا ملء راحة اليد للتذوق والتزود • وهيهات أن نستطيع أنا وغيرى أن نبلغ شيئا مقدورا أو مذكورا من ذلك الفيض على مدى الايام !

كذلك لا أزعم أن هذه الصياغة العربية هى الانسب أو الاجمل أو الافضل من سواها • ان أكثر هذه الكتابات التى تضمنها الكتاب قد رأيت بعضها ، أو سمعت أنها نشرت بالعربية وبأقلام زملاء أفاضل مقتدرين •• واذ أدركت ذلك ازددت رغبة فى ألا أدعهم وحدهم مستأثرين بأدب تاجور الانسانى وحبهم له • اننى أحييهم وأعانقهم ، وأدعوهم من اليوم الى تكوين جماعة نطلق عليها مثلا اسم جماعة محبى أدب تاجور، وأن نجعل من القراء فى سائر الاقطار العربية أعضاء مؤسسين ، وأن أكون أنا العضو رقم ٥٠٠٠ ، ولعل هذا هو الذى بدأناه عمليا اليوم ، عندما قدمت « صوت الشرق » بمنحة عظيمة من الهند مشروعها الادبى الجرىء ، وأتاحت لضعف هذا العدد الضخم من القراء الحصول على هذه المختارات من أدب تاجور العالمى ، بلا عقبات مادية أو مقابل ، الا نفقات رمزية تغطى التكلفة الاساسية لعملية التوزيع عن طريق الباعة والمكتبات •

ان الاختيار قد شمل هذه المسرحية ، وشمل هذه القصص التى لا أقول عن سبب اختيارى لها دون سواها الا أنى قد تأثرت بها عندما قرأتها ، واقتنعت بأهميتها عندما عرفت أن بعضها قد تحول بالفعل الى أفلام روائية ناجحة •

واذا قيل ان مسرحية « تشيترا » قد نشرت فى لبنان من قبل وهى جزء من هذا الكتاب ، فانى أقول :

نعم ، نشرت حول سنة ١٩٦٠ في كتاب صغير من ترجمة الدكتور بديع حقى • وذكر لى صديقي الاديب سمير وهبي أنه قرأ ترجمة لجانب منها في أحد أعداد مجلة «الكاتب المصرى» التى كان يرأس تحريرها الدكتور طه حسين ، وأرسل الى نسخته فعلا ، وعندما بدأت القراءة وأظن أن الترجمة كانت بقلم الاستاذ حسن توفيق — وهو غير الشاعر الشاب حسن توفيق — طالعنى اسم « تشيترا » مكتوبا هكذا : « جيترا » !•• فطويت العدد ولم أسترسل ، واحتفظت به ولكننى أبحث عنه الآن ولا أجده •

نعم ، وما الضرر فى ذلك ؟ انه خير وبركة •• ان كتاب « الهلال » لتاجور مثلا ترجمه الاستاذ طاهر الجبلاوى ، وترجمه فى الوقت نفسه بديع حقى ، وكتاب « جيتنجالى » ترجمه الدكتور بديع حقى ، وترجمه يوحنا قمير ، وآثار أدبية كثيرة ترجمت ترجمات متعددة الى لغتنا • وهذا أمر لا يحتاج الى اقناع أو اثبات • ولكننى أود أن أذكر عن هذه المسرحية ، فيما يلى ، بعض الايضاحات :

★ لقد قمت بترجمة هذه المسرحية قبل سنة ١٩٥٥ ونشرت بالفعل مسلسلة فى أعداد فبراير ومارس وأبريل سنة ١٩٥٥ من مجلة « صوت الشرق » • وقبل هذا التاريخ لم يصل النص الانجليزى الى منطقتنا العربية كلها • أما ترجمة مجلة « الكاتب المصرى » التى توقفت عن الصدور فكانت عن الفرنسية ، وترجمة لبنان كانت حول سنة ١٩٦٠ •

★★ اذاعة الجمهورية العربية ، البرنامج الثانى ، تعاقدت معى على اذاعة هذه التمثيلية • وأعدها البرنامج وسجلها بتوجيه المخرج وباشرافى ، وبدأ يذيعها من

القاهرة فى ٢٩ مارس سنة ١٩٥٨ واستمرت اذاعتها بعد ذلك على فترات حتى الآن ٠

★★★ قبل احتفال القاهرة بالذكرى المئوية لميلاد تاجور ، فى سنة ١٩٦١ ، وكانت الوحدة السياسية قائمة بين سوريا ومصر ، رأت لجنة الاحتفال أن تطبع طبعة قاهرية بعض كتب الدكتور بديع حقى : « البستانى » و « جيتنجالى » و « تشيترا » ٠ وقد طبع فعلا الكتابان الاول والثانى ولم يطبع الثالث « تشيترا » حتى يومنا هذا ، وكان ضمن مشروع الالف كتاب للادارة العامة للثقافة بوزارة التربية ٠ وقد عاودت التحقق من ذلك لدى مكتبة الانجلو فأكد صاحبها لى أن الكتاب لم يطبع ، على الرغم من الاشارة وقتئذ الى عزم « دار القلم » على طبعه ٠

أما المبرر القوى لايثار هذه المسرحية على ما عداها ونشرها فى كتاب جديد ، فهو اقتناعى بأن النقل أو الترجمة ليست حكرا لأحد ٠٠ ان كل قلم له رسمه ، وكل مترجم له طريقته وأسلوبه وملامحه ، وكل أديب له لغته ٠٠ ولابد أن نجدد شباب الاساليب وشباب اللغة ٠٠ نريد أن نواكب الزمن ، ونكتب بلغة عصرية سائغة ورقراقة ، تحافظ على سلامة اللغة ونصاعتها وفى الوقت نفسه تخلصها مما يثقلها من القوالب المحفوظة ، ومن الكلمات والعبارات والكلمات المتآكلة المتقادمة المهجورة ٠

انى أتمنى أن يظهر فى كل جيل أناس يمسكون بهذه النصوص فى أصلها ويجربون أساليبهم المتجددة ، ويخاطبون قراء عصرهم بلغة العصر ٠ انى مثلا شديد الاعجاب بلغة ، وبأسلوب ، مصطفى صادق الرافعى ، وزكى مبارك ، وأحمد حسن الزيات ، ولكن كيف أقنع قراء الاجيال الجديدة المواكبين لعصر السرعة بالالتصاق بهم والتقوقع فى أصدافهم ؟ اننى أريد أن أرى رؤيا جديدة تلائم أذواق قراء اليوم المتعجلين الذين لا يقرأون الآن لمصطفى لطفى المنفلوطى ، ومحمد المويلحى ، وعبد العزيز البشرى ، وحفنى ناصف ، وزكى مبارك ، ومحمد السباعى ، وحافظ عوض ٠٠ اننا نجدد شباب اللغة لنكسب ثقة الشباب ، ونطور الاساليب البيانية والبديعية الى أساليب لا تثقلها المحسنات اللفظية والاطناب والتشبيهات ٠٠ اننا نحكم ذوقنا المكتسب بالاطلاع والمران والصقل فى تخير ماهو أكثر الاساليب ملاءمة لروح العصر ، من غير أن نترخص فى قواعد اللغة العريقة، وفى طلاوتها وفصاحتها ٠

ان مفهومنا لجمال اللغة يتغير ، فليست اللغة التى نلتمسها الآن هى اللفظ الفخم والاسلوب الجزل والتراكيب المحفوظة ، « والصمصامة الذكر » نقولها للسيف ، والهزبر للأسد ، والسجنجل للمرآة ، و « جلمود صخر حطه السيل من عل » لحجر مندفع ، وانما هى العبارة الرقيقة الرشيقة القريبة التناول ، التى تحمل مضموننا وتصافح الاذن بلا ثقل ٠٠ هى السياق اليسير الواضح الخفيف الظل ، من غير معاظلة ولا تكلف ولا تفلسف ٠٠هى حصيلة ما أثر فينا من كتابات منطقية قدمها أستاذ كالعقاد ، وحوار رشيق صنعه الحكيم ، وسرد سهل أداه طه حسين والمازنى ، وتعبير شاعرى أبدعه جبران ، بعد تأثرنا بالرافعى والزيات والجاحظ والبشرى والمنفلوطى ٠

لقد ظهرت أساليب جديدة وجيل جديد من الادباء والمثقفين نجحت كتاباتهم وأساليبهم المبتكرة ، وصادفت هوى فى نفوس القارئين للكتب والصحف ، فهل نلتفت الى الماضى ونعطى ظهورنا لتوفيق الحكيم ، ومحمود تيمور ، ويحيي حقي ،

وشوقى أمين ، وأنيس منصور ، واحسان عبد القدوس ، وسهير القلماوى ، وأحمد بهاء الدين ، وجاذبية صدقى ، ومصطفى محمود ؟

وربما كان من المناسب أن تعد هذه المجموعة من قصص تاجور وتضم اليها « تشيترا » وتصدر عن القاهرة فى كتاب ، فان الكتب التى تصدر بلغة الترجمة اللبنانية مثلا وفيها الباء المشهورة فى مكان « فى » والغين الزاعقة فى مكان الجيم ، وغرابة التعبير الذى لم يمر بيراعة مصرية مصقولة ، قد لا تحصل على جواز المرور الى القارىء من كل الابواب ، وان تعاونت الصيغتان على تغطية المناطق شرقا وغربا ، كل قارىء ينتقى على ذوقه ٠

لقد لاحظت أن العبارة تتغير وتختلف لفظا ومضمونا حتى للمترجم الواحد ، فكيف لا نشجع هذا الاتجاه بين المترجمين ٠٠ ونتيح أكثر من ترجمة للقارئين ؟

اننى أنقل هنا مثالين اثنين للتدليل على اختلاف الترجمة ، وعلى ما يتعرض له النص الواحد أحيانا من تغيير وتنقيح ٠

والمثال الاول من ترجمتين لمسرحية « روميو وجولييت » لشكسبير ، بلغة الشاعر على أحمد باكثير ، ولغة الشاعر صالح جودت ٠ وفيما يلى بعض ماورد فى النصين من حوار :

(لصالح جودت) :

روميو : أى نور ينبعث من تلك النافذة ، انه الشرق وجولييت هى الشمس ٠ أشرقى أيتها الشمس الساحرة ، واقضى على القمر الغيور ، الذى جعله الحزن مريضا شاحبا ، لانك أبهى منه ٠

(لباكثير) :

روميو : صه ! تأمل ، ماسنا ثم من الطاق انفلق ؟
ذلك الشرق ، وجولييت ذكاء
اطلعى أيتها الشمس الوضيئه
واقتلى حاسدك البدر الذى
كاد من غيرته يقضى شحوبا وأسى

(لباكثير) :

جولييت : ان اسم أهلك وحده خصمى ، وأنك
أنت أنت ولو عزيت لغير منتاجيو
اذ ما اسم منتاجيو ؟ أوجه هو ؟
أكف هو ؟ أرجل هو ؟ أساعد ؟
أو أى جزء قط من جسم الفتى ؟
ماذا عليك لو انتحلت اسما سواه ؟
ما قيمة الاسماء ؟ هل يتغير الزهر الذى
ندعوه وردا ان دعوناه بأسماء أخر ؟
فكذاك روميو : لن يزال له كمال
خلال روميو لو دعوه بغير روميو
روميو اهجر اسمك لى ، وباسم
ليس بعضا منك خذ كلى اليك

(لجودت) :

جولييت :

كيف امتلكت فؤادى … وأنت بعض الاعادى
روحى وروحك هاما … على جناح السهاد
نادى الهوى فالتقينا … يا ويح هذا المنادى
أرى عدوا حبيبا … مثل الضحى فى السواد
أرى اسمه فى الاعادى … ورسمه فى فؤادى
روميو وأنت عدوى … أفديك من كل عاد
وهل أناديك روميو … والثأر فيما أنادى !
لو لم يسموك روميو … لكن وصلك زادى
تخير اسما يواسى … حبى ويرضى ودادى

والفرق بين الطريقتين :

« باكثير » كان شديد الامانة حريصا على النص ، والتزم بأسلوب الترجمة ولذلك جعل طريقته هى الشعر المرسل المتحرر من القافية · ومن أجل ذلك ربما افتقدنا بعض الرقة الشاعرية فى الشعر العربى ·

و « صالح جودت » لم يلتزم بالنص ، وكان أحرص على الايقاع والعذوبة الشعرية ، وخاصة عندما يرد الحديث على لسان البطلة ، فقد جعل كلماتها شعرا عربيا جميلا ورقيقا ، وبقية الحوار لدى شخوص الرواية من النثر المطلق ·

وباكثير اكمل عمله فى سنة ١٩٤٦ وصالح جودت أعد مخطوطة لمشاهد من الرواية بتصرف ، بالاشتراك مع « السيد بدير » ، لمسرح الفنانة ملك حول سنة ١٩٤٤ ، ثم مثلها فريق هواة التمثيل بجامعة القاهرة مرة وبكلية الآداب مرة باخراج الفنان محسن سرحان سنة ١٩٥٤ ·

والمثال الثانى من كتاب الدكتور بديع حقى « جيتنجالى » ·· الذى طبع مرة فى بيروت سنة ١٩٥٥ ومرة فى القاهرة سنة ١٩٦١ فى الطبعة الاولى ، يبدأ الكتاب بهذه الصياغة :

« لقد جعلتنى لا نهائيا ، تلك هى لذتك

« هذه الكأس الرقيقة ، انك ترتشف منها دوما ، وتفعمها دوما حياة ندية

« ······ بلمسة خالدة من يديك ، فان قلبى الصغير قد فرع حدوده ، جذلان ، وهفا فى مناجاة غائمة ·· الخ » ·

وفى الطبعة الثانية ، مراجعة مصطفى حبيب ، تغيرت الصياغة فصارت كما يلى :

« لقد جعلتنى سرمديا ، تلك هى ارادتك

« هذه الكأس الرقيقة ، انك تفرغها دوما ، ثم تعود لتملأها دوما حياة ندية

« بلمسة خالدة من يديك ، جاوز قلبى الصغير حدوده ، نشوان جذلان ، وهفا فى مناجاة عذبة رقيقة ·· الخ » ·

وفى الصياغة اللفظية اختلاف ظاهر بين لهجة الشام ولهجة مصر عند الترجمة. نحن لا نتصور أن نكتب فى كتبنا أو صحفنا « غوغول » بدلا من « جوجول » ، أو «غوته» بدلا من «جوته» ، أو «غلادستون» بدلا من « جلادستون » ، و « غنيليو » في مكان «جاليليو» ، و «مكسيم غوركى» بدلا من «جوركى» ، و «غوستاف لوبون» بدلا من «جوستاف» ، أو « طاغور » بدلا من « تاجور » ، أو « ديغول » بدلا من «ديجول».

لقد تأثرنا بغين لبنان حتى فى مصر ، ودرجنا فى نصف الالفاظ على اتباعها بعد أن ألفناها ، ورفضنا نصفها الآخر ، مع أن الاصل الصحيح غير ذلك ، فبلاد الشام تخشى اذا وجدت جيما مثلا فى كلمة تاجور أن تنطق بجيم معطشة كما هى القاعدة العربية ، وفات أصدقاءنا أن الغين لا تصلح الا لحرفى (gh) معا ، وأن الجيم يجب أن تنطق جافة أو «قاهرية» ، بطريقة نطق مقابلها الافرنجى (g) وهذا الحرف لا ينطق كالجيم المعطشة الا اذا صحبها حرف (e) وهناك حرف آخر يصلح لان نخصصه للجيم المعطشة ، وهو (j) ..

اما وضع غين بنقطتين اضافيتين كما فى « المنجد » ، أو كاف بشرطة مزيدة كما في اللغة الاوردية ليدل على النطق الصحيح ، فهذا اجراء مفضل لوكان مالوفا أوميسورا فى مطابعنا الحديثة الآلية .

وقد حرصت بعض الصحف المصرية ، كجريدة الاهرام ، على كتابة الجيم بدلا من الغين اللبنانية ، مثل يوجوسلافيا وتاجور والبنجال وجوجول ، ولكن هذه القاعدة ليست مطردة كما قلنا ، لاننا لم نعد نستطيع أن نغير بعض الكلمات التى رسخ لها نطق خاص ، مثل غاندى ، المغول ، البنغال ، غريبالدى ، سنغافورة ، السنغال ، افغانستان ، غليوم .. الخ .

حول المسرحية

مسرحية «تشيترا» أنشأها مؤلفها شعرا بلغته البنغالية منذ ثمانين سنة ، فى سنة ١٨٩١ ، وهو بعد لم يجاوز سن الثلاثين ، وهى من الروايات الرومانسية ، التى تمثل بالنسبة لنتاج الشاعر وسنه مرحلة تلى مرحلة المسرحيات الغنائية التى تقوم فى بيئته الهندية ومقاطعته البنغال على الغناء والموسيقى . ولو غربنا أو فرنجنا صفة المسرحية فى المرحلة الاولى لقلنا انها تشبه « الاوبريت » ، لانها تنتظم مقطعات ومقطوعات شعرية لا يغلب عليها السرد الدرامى أو الروائى ، وفى الوقت نفسه يصاحب الانشاد الموقع ، الغناء والموسيقى والرقص التعبيرى أيضا .

ومن يعرف طبيعة الهند وفنونها يجد أن شعر الشعراء هناك لا ينتهى مضمونه عند تأليف الشاعر له ، بل ان صاحبه عند القائه لا يكون لعمله محسنا أو متقنا الا اذا أداه بترتيل وتنغيم يستغرق فيهما وينفعل بهما حتى يغفل عما حوله ، ويندمج فى جوه وعالمه من فرط انفعاله وصدقه ، ولا يجد أى حرج فى المجاهرة بالتغنى ومواجهة الجمهور بصوته المتعدد الطبقات ، لانه يجد فى ذلك تمام عمله الفنى الذى ندب نفسه له .

كل شاعر فى الهند يصنع هذا ، وكل شاعر جاءنا من الهند كان يصنع هكذا أيضا ، وشاعر الهند « تاجور » لا يعرف طريقة لالقاء شعره سواها .. انه يؤديه غناء أو كالغناء ، ويختار منه مقطوعات كثيرة ويضع لها اللحن الموسيقى بنفسه ،

وقد بلغ ما لحنه نحو ألفين من المقطوعات الغنائية كما أسلفنا · وعندما زار مصر في سنة ١٩٢٦ واستقبل في القاهرة باحتفال كبير وأقبل القوم من كل مكان يستمعون اليه ، أدى شعره غناء بصوت ملائكى عذب رقيق لا عهد لأحد بمثله من قبل ، كما يقول لنا الاستاذ الشاعر محمد طاهر الجبلاوى ، الذى شهد هذا اللقاء التاريخى وتحدث عنه الى كما سيرد ذلك فيما بعد ·

وهذا الشعر الغنائى هو الذى نسميه فى لغتنا وفى تقسيماتنا ، وفى المصطلح العلمى أيضا : الشعر الوجدانى ، ونقصد به : شعر الخواطر الذاتية التى ينشئها الشاعر مقطوعات أو قصائد شعرية لا تنتمى الى الملاحم الروائية ولا الى المشاهد التمثيلية أو المسرحية ·

أما النقلة الثانية للمؤلف فى مجال المسرح ، فهى الاتجاه الى التاليف الرومانسى ، متأثرا بالتيارات الادبية التى سادت تلك الفترة من عصره ، و « تشيترا » مما ألفه على هذا النسق ، وراعى فيه سمات الرومانسية وهى سبحات الخيال والاحلام والحب والجمال ·· سبحات تهتدى الى الرواية لا الى تصوير الواقع ولا الى التعبير الذاتى · والرواية تضطره أو تقوده الى الملاحم الكبرى · واذا كانت « روميو وجولييت » لشكسبير من الطابع الرومانسى ، وكانت الالياذا والاوديسى من الشعر الملحمى والادب الكلاسيكى ، فان تاجور قد استوحى فكرة مسرحيته من ملحمة الهند الكبرى « مهابهاراتا » بما فيها من تصوير حروب، وبما تحفل به من أساطير ، ثم طبع أبطال روايته بالطابع الرومانسى الحديث الذى أسبغ عليه الخيال والجمال ، وصور فيه مشاهد للحب ومواقف للحوار والوصف، يجرب فيها ملكاته الشاعرية الى الحد الذى يحلق معه تحليقا لا يجاريه فيه أحد·

ويبدو أنه كان منسجما ومتكيفا ومتعاطفا مع شخوص روايته ، فقصرها على الوجه المشرق والنواحى الجمالية دون تصارع الخير والشر الذى تبنى عليه الدرامات ، ولم يعن باقتضاب الحوار ، أو سرعة الحركة ، أو ادخال العناصر المناوئة ، أو التزام الصنعة المسرحية ، حتى لا يضحى بسبحاته وخيالاته ، التى ساعده عليها أن الهامه كان من مشاهد غنية بالاخيلة والاساطير فى المهابهاراتا، وأنه توفر على ابداعها وهو فى شبابه المتفتح للحياة ، وفى فصل الجمال بالذات دون سائر فصول السنة ·· فصل الربيع ، مع أن كتاباته الاخرى كان لا يستطيع أن يفرغ لها الا فى أوقات غير أوقات العمل المنوط به ، والربيع من فصول العمل المسئول لا فصل فراغ واجازة ·

وقيل ، كما فى الاصل الذى أنقل عنه ، وهو طبعة ماكميلان سنة ١٩١٤ بنيويورك لمسرحية « تشيترا » ، ان المسرحية كتبت أصلا باللغة البنغالية ، لغة المؤلف ، شعرا ، وعندما بدىء فى تمثيلها لم تكن مقسمة الى مشاهد ، اذ كان الممثلون يؤدون وقائعها فى وسط الساحة والجمهور يتحلق حولهم ، فلما ترجمت الى الانجليزية وقدم الى مؤلفها بعض المقترحات لانتاجها مسرحيا خارج الهند ، تناول الترجمة وأجرى عليها بعض التقسيمات حتى أصبحت فى عدة مناظر أو مشاهد ينتظمها فصل واحد ، للمعاونة فى اخراجها بالطريقة المسرحية ، ولكنه فى الوقت نفسه أشار بأن تستبعد كل هذه الاضافات الفنية والمسرحية عند نشرها فى كتاب، لتكون مطابقة للأصل الذى وضعه ، ولكى لا تعوق تدفق السياق موانع صناعية ومصطلحات مادية ·

وهذه نقطة ربما لم تكن واضحة لدى الذين اطلعوا على نص المسرحية ، والذين تعرضوا مشكورين لنقلها الى العربية ·

أوصى تاجور بهذا اذن حرصا منه على الاصل حتى لا تشوبه شائبة أو تفسده صناعة دخيلة ٠٠ ولكن وا أسفاه ، فان هذا ليس فى الحقيقـــة بذى بال ٠٠ اننا نحس بأن هذه المسرحية وغيرها من أعمال تاجـــور يضيع منها الكثير والكثير ، ونفقد منها القدر الجميل والأثير عنـــد نقلها الى لغتنا بمثل هـذا القلم القاصر المكدود ، الذى يواجهه افتقاد ثلاث مزايا عرفناها للنص فى أصله وفى المناخ الذى حوله ، ولا سبيل الى وجدانها أو الظفر بها مهما يحاول المجتهدون والمقتدرون ٠

★ فالاصل قد كتب شعرا ، والشعر له ايقاع وموسيقى وامتاع ، وحين يؤدى بصورته هذه فهناك أيضا الخلفية الموسيقية والنغم الحلو الشرقى الاصيل ٠ أما النص الانجليزى الذى ترجمت اليه المسرحية فليس شعرا ٠ وما كان من المستطاع أن يترجم الشعر الكلاسيكى الى شـــعر مثله والا كان فى هذا من الثقل والتكلف والاضطرار الى التصرف ما يفقد الترجمة من مضمون الاصل فوق ماتفقده الترجمة فى ذاتها ٠

فكم كانت خسارتنا والحالة هذه ؟

كتب الشاعر الاستاذ محمد طاهر الجبلاوى يقول :

« ان شعر تاجور يمتاز بالرقة والعذوبة ، ويترقرق ماؤه حتى ليشبه ماء البحيرة الساجية الحالمة ومن وراء ذلك عمق بعيد ٠

« وقد حضرته وهو يزور القاهرة سنة ١٩٢٦ ويحاضر فيهـــا ، وكان من بين الحاضرين كل من المغفور لهم لطفى السيد والعقاد وأحمـــد شوقى ، ومن الاحياء الدكتور طه حسين ٠

« وقد ألقى علينا أشعاره بصوت ملائكى رفاف كشعره العذب البديع ٠ وبعـــد الانتهاء من القاء أشعاره باللغة الانجليزية ، استأذن الحاضرين فى اعادة تلاوتها باللغة البنغالية لما تفقده اللغة وايقاع الشعر من الموسيقى عند الترجمة ٠

« وأعاد القاء أشعاره ، ولكن القاءه فى هذه المرة كان ترتيلا غنائيا ٠

« لقد كان شاعرنا حريصا على ابراز الناحية الموسيقية التى يمتاز بها شعره ٠ وقد شعرت بجفوة وأنا أقرأ ترجمة الى اللغة العربية بقلم الاستاذ بديع حقى وغيره ممن قدموا لنا أشعار تاجور ، فى سرد بعيد كل البعـــد عن رقة تاجور وموسيقاه التى انفرد بها وراعاها المترجمون الاجانب ٠٠ »

★★ والمسرحية الشعرية تزدان وتزداد جمـــالا بصياغتها الشعرية ــ هـــذه هى الحال فى كل لغة ــ ونحن هنا كما أسلفنا لا نملك أن نصوغ المسرحية بلغة الشعر الذى يتفوق على النثر ، ونحبه ونطرب له ونؤثره فى المجـــالات الفنية ، لا نملك ذلك لاننا لسنا على صلة بالاصل البنغالى ، ولو كنا على معرفة بهذه اللغة لمـــا أقدمنا على التجربة ، لان الناتج لن يصل الى روعة الاصل ورقته وايقاعاته ، وكل محاولة من هذا القبيل لم تصل الى النجاح المرجو ، بل ان كل من تصدى لترجمة أعمال شكسبير مثلا لم ينجز مهمته على الصورة التى نصفها ٠ وهم لم يخرجوا عن اتباع أحد مذاهب ثلاثة : فاما الترجمة النثرية ولو كان المترجم شاعرا كبيرا ومترجما قديرا كخليل مطران ، واما الترجمة بطريقة الشعر الحر أو المرسل كما فعل على أحمد باكثير ولويس عوض ، واما الترجمة المضمنة أجـزاء من الحوار بالشعر المقفى مع الاكتفـــاء بالاجتزاء والاضطرار الى التصرف كما فعـل صالح جودت بمسرحية « روميو وجولييت » ٠

واذا كان هذا هو الموقف بالنسبة للصياغة فى الاصل والصياغة عند النقل ، فكم نفقد من الرواء بهذا الاجراء ؟

★★★ ثم ان المسرحية كتبت بلغة لها خصائصها وسماتها ، ومثلت بأيدى أصحابها الفاهمين المدربين ، وعلى رأسهم المخرج والموجه والمؤلف والمشارك وهو « تاجور » نفسه بطريقته وملكاته وتفهمه لاسرار مسرحيته . ثم ها هى ذى تنتزع من بيئتها وجوها وشخوصها ولغتها .

فماذا يبقى لنا من مزاياها بعد هذا الحرمان ذى الشعب الثلاث ؟

يقينا لئن وجد القارىء بعد ذلك نواحى جمالية يوحى بها المضمون ، انها العبقرية التى يتفرد بها الشاعر العظيم والتى أسبغت الرواء والبقاء ، بعد كل هذه المعاناة والضيقات .

وهنيئا للطوائف من الناس ، من ولايات الهند ، الذين ينعمون بهذه الآثار فى أصلها وموطنها .. اننا نغبطهم !

تاجور والمسرح

ما هو موضع مسرحيات تاجور ، بمقاييس فن الدراما ؟

عند البحث فى هذه المسالة ، لابد ان نطرح أمامنا اعتبارين يوجهان النقاش . والاول ، هو أن تاجور كان واسع الثقافة ، متعدد المواهب بصورة لا مثيل لها ، حتى لقد استحق أن يلقب بالمعلم الروحى Gurudev وأن ينفرد فى الشرق بالحصول على جائزة نوبل العالمية فى الاداب ، وأن يشرع فى تاليف الشعر وفنون التعبير الاخرى فى سن مبكرة جدا ، وهو دون الخامسة عشرة ، وذلك كله مع انه لم يختلف الى مدرسة نظامية ، مؤثرا أن يثقف نفسه بنفسه ، وأن يتلقى على أيدى معلميه الخصوصيين مباشرة ما كان مقدرا أن يحرم منه لو ذهب الى مدرسة مع أقرانه ، ليبتلعه الزحام وينشغل عنه الذين يتلقى عنهم ، ولم يكتف بذلك بل قام برحلات متعددة خارج بلاده ، واتصل بأفاضل الشخصيات من الادباء العالميين وقادة الفكر ، وتلبث فترات طويلة علمية واستطلاعية فى انجلترا وفى غيرها من دول العالم .

والاعتبار الثانى ، أن النوابغ لا يلتزمون بقواعد وقوالب متعارفة ومتوارثة . وما ينبغى لهم .. ان هذه التقاليد والقوانين الخاصة بالتاليف الدرامى وضعها أناس باجتهادهم ، ثم جاء غيرهم فطوروا وغيروا ولم ينكر عليهم ذلك أحد . فاذا جاء تاجور فانه لا يطلب اليه أن يقلد أو يتقيد ، بل هو ينطلق راسما الصور التى يمليها عليه الهامه ونبوغه ، فان وافقت القوالب التى الفناها فقد حمدنا له ماقدم، وان كان ما جاءنا به جديدا فريدا فلنحمد للسماء أن أنعمت علينا به وبفنه ..

ان تاجور كان ابن الطبيعة ، ورضيع الالهام ، وربيب الموهبة ، فلا ننتظر من غير المتناهى أن يثقل نفسه بقيود الفانين القاصرين ، الذين ينحتون قواعدهم من الصخر .. انما هو يستلهم فنه من الطبيعة البكر ، الطبيعة الرحبة ومحيطها العظيم ، ومن تلهمه الطبيعة شعرها وسرها وسحرها .. من يكون الا أن يوصف بالشاعر الأعظم ؟

اذا قدمنا بين يدى البحث هذين الاعتبارين ، سهل علينا أن نقوم فن المسرحية عند تاجور بالنسبة للفن الدرامى بعامة ٠

وأمامنا فى هذا المجال باختصـــار ، تحليلان لعلمين من أعلامنا الذين نعرفهم بآثارهم وأعمالهم ٠ والاول هو الشاعر الفنان عبـــد الرحمن صدقى ، الذى قدم دراسة عظيمة حول أعمال تاجور الدرامية ، فى كتابه « تاجور والمسرح الهندى » الذى صدر بالعربية سنة ١٩٦١ ٠

فى هذه الدراسة يقول عبد الرحمن صدقى عن فن تاجور :

« لم يكن هناك شىء بالذات يشغله ويفرض نفسه على حياته وكتاباته ، بل كان يأخذ مجلس المتفرج من النافذة المطلة على قارعـة الطريق يرسم ما يطيب له أن يرسمه ويتغنى بما يحلو له الغناء به ٠ وكانت رقة العاطفة فى شـعره تربو على دسم مادته ٠٠٠٠ ولكن هذه الاغانى لا تلبث أن تتلوها كتابات بمثابة رد الفعل ٠٠ وهذا « الصرا ع» هو دراما « الحياة » ٠ ص ٥٤ ــ ٥٥ ٠

ويقول فى ص١٣٩ : « ان تاجور المسرحى متعدد الجوانب فى أساليبه المسرحية، فهى تارة فى الصميم من تقاليد المسرح الهندى ، وهى تارة ثانية متأثرة بالمسرح الشكسبيرى ، ثم هى غير هـذا وذاك ، فى كثير من الاحايين ٠٠ ولكنهـــا جميعا تنتظمها وحدة من حيث تصور تاجور للفكرة الدينية والقيم الاخلاقية ٠ ولا غرو ، فان نابغة الهند (تاجور) لم يكن فنانا فحسب ، بل كان فنانا الىجانب كونه مفكرا٠ ثم ان تفكيره كانت له دعامتان راسختان فى طبيعته، وهما الايمان وقوةالشخصية٠ وهذا ظاهر فى أشعاره ظهوره فى قصصه ومسرحياته وسائر آثاره » ٠

والعلم الثانى هو الفنان محمود فهمى زكى ، الذى أمضى من حياته الفنية ستة عشر عاما خارج بلاده مصر ٠٠ فى الهند وانجلترا ٠ وفى الهنـد أمضى سنوات فى الاذاعة يترجم ويذيع عن النصوص الهنـــدية ، ومنها المسرحيات ، وأخصها مسرحيات تاجور الشعرية والنثرية المترجمة الى الانجليزية ٠

كتب فى عدد مايو سنة ١٩٦١ من مجلة « صوت الشرق » يقول :

« ربما قيل ان مسرحيات تاجور تفتقر الى ذلك الهدف أو المرمى المعتـــاد فى طبيعة المسرحيات بوصفها تتوفر على تصوير الشخصيات الحية ٠ ولكن ليس من الضرورى أن يتركـــز وصف التطور الفنى للدراما فى الحبكة الروائية وارجاعها الى توالى ، أو تعاقب ، الحركات التى لا مفـــر من أدائها ٠ فنواة الحـــركة فى الدراما وتمييز الشخصيات غالبـــا ما يوجدان بارزين فى المـــزاج الوجدانى للشاعر ٠٠٠٠ » ٠

ونخلص من ذلك الى أن الصراع الذى تزخـــر به الحياة الرحيبة ذاتها ، هو أشمل وأقوى من الصراع المصطنع المحدود بين الخـــير والشر تمثيلا فى مأساة أو ملهـــاة ، اذا استطاع المؤلف أن تكون قدرته واتصـــاله على هذا النحو من اتساع الأفق ٠

وكما يقول عبد الرحمن صدقى فى ختام كتابه عن تاجور :

« ان النقاد ــ وخاصة الغربيين ــ ما فتئوا يجادلون فى مكانة تاجور بالقيـاس الى قمم الادب العالمى ، أمثال هومير ، ودانتى ، وشكسبير ٠ ولكنهم بعد كل خلاف متفقون وايانا على أنه ترك فى التراث الانسانى العالمى ــ فى الشعر والقصـــة والدراما وفى سائر مقالاته ورسومه ــ آثارا من أجمل الآثار الادبية ، التى تعبر فى مختلف العصور الفنية عن روح الشرق الخالدة ، بلغة عصرية ٠٠ » ٠

الترجمة والتعريب

. لقد كان نقل هذه الآثار فى كتابنا نقــلا بأسلوب « التعريب » ، وليس مجـرد الترجمة . وذلك لان الاصل فى البنغالية وهو من الشـعر فى موضع والنثر فى موضع آخر ليس هو الذى أمامنا . ولان الاصل فى الانجليزية لم يتقيد بالنصوص الشعرية ولم يكن المؤلف هو وحده الذى قام بالترجمة . ولان الترجمة بقوانينهـا تقف بك عند حرفية النص وتحرمك من الابداع والتعبير الفني والطابع الجمالي ، التي يوحي بها الاثر الادبي في أصوله ، ومن استخدامات اللغة المترجم اليها النص ، التي يريد القارىء أن يجدها ويستمتع بها عندما يقرأ .

وما هو الفارق بين الترجمة والتعريب ؟ الفارق واضح .. اننا فى الحالتين نترجم من لغة الى لغة ، فالترجمة تشمل التعريب ، ولكن اذا خصصنا ظهر الفارق، وقلنا ان الترجمة تتقيد بالحرفية وبالمطابقة من غير تصرف ، أما التعـريب فينظر فيه الى روح النص ، ويراعى فيه خصائص لغة الضاد وايقاعها ، وهذا يفرض على المعرب أن يظهر بشخصيته وطابعه وأسلوبه ، ويحاسب على مدى اقتـداره على الابتداع لا النقل المجرد ، وعلى مدى توفيقه فى تفهم التناول الفنى فى الاصل الذى نقل عنه .

المعرب لا ينقل كلمات أو معـــانى كلمات ، وانما هو ياتى بما يقابل التعـابير والمصطلحات بعد أن يستوعبها ويمتلىء بهـــا ، ثم يحولها الى الصور الجـذابة واللغة المأنوسة لدى قراء العربية .. ولا يقتصر دوره على مجرد النقل ، بل عليه أن يضفى على انشائه المسحة الجمالية التى تجعل من النص عملا أدبيا ذا قيمـــة تعوض قيمة الاصـــل ، وله مستوى يقترب من معـــانى الاصل او يتوازى معهـا . والتعريب أو الترجمة الادبية تكون بهذه المثـــابة عملا فنيا وعملا ابداعيا أصيلا يكتسب قيمته من شخصية المترجم وخبرته وقدراته .

وهنا يرد على الخاطر اصطلاح عرفناه وألفناه ونحن نتحدث عن اللغـة وعن الاساليب . اننا نقول « أسرار اللغة » ، وهذا أصدق صفة للغة فى مجال الترجمة .. انه لابد من معرفة أسرار اللغتين المترجم منها والمترجم اليها لتكتمل الصورة الجديدة على الوجه الذى نريده .

فاذا نقلنا هذه الاحكام الى التطبيق ، نجـــد « المعرب » شخصا يتهيأ لعمله بصورة تختلف عنها اذا اقتصر على الترجمـــة .. انه بادىء ذى بدء يعيش فى النص ، يتفهمه ويستوعبه ، ويحـــاول أن يستشف ماوراءه ويتغلغـل فى نفسية المؤلف حتى يمتلىء بروح الاصل . ومعنى هذا أنه يضع نفسه فى موضع الكاتب وهيأته عند التاليف ، ويستحضر فى مخيلتـــه الصور والتعبيرات التى تناسـب الصور التى يقرأها ، ويدرك من المعانى ما قد يختفى وراء الالفاظ الظاهرة التى تكتسى أحيانا بالغموض أو الجمود .

وبعد ذلك يشرع فى النقـــل ، محاولا أن تكون لغتـــه وأسلوبه وانشاؤه هى الكتابات الاليفة فى لغته هو ، مثلما كان النص على الصورة والاسلوب المألوفين فى لغة الأصل .

ولم أذكر أن الاسلوب عند التعـــريب ينبغى أن يكون أسلوبا أدبيا ، لا علميا ولاتقريريا ، لان هذا غنى عن الذكر . فالتعريب طريقة تستخدم غالبا للنصوص

الادبية ، أما الاسلوب العلمي والاساليب الاخبارية والتقريرية والجماهيرية فهي تنتمي للترجمة وحدها ، ولا يساغ فيها استخدام التعريب بما يتطلبه من بروز شخصية المعرب أو قلمه ، وبما يعمد اليه من تصرف استنادا الى استيعابه لروح الاصل ، غير مكتف بالنص الحرفى والمعنى الواحد الذى تقيده اللغة الاجنبية ومصطلحاتها وأسلوبها ٠٠ ولا ننسى أن لكل لغة أساليبها ومصطلحاتها ٠

وليست هذه الصفات وحدها هى سمات المعـــرب ، فانه يكون مقصرا ومسيئا الى العمل الادبى المنقول وصاحبه اذا هو اقتحم هـــذا العمل من غير استعداد وتهيئة ٠٠ انه لابد له من أن يتمرس بهذا العمل ويطيل الدربة والمران ، بشرط أن يأنس فى نفسه قبل التصدى لهذه المهمة المتميزة الملكة والمقدرة ، والا فكيف يطلع علينا بالاسلوب الذى يرضـــينا والصورة التى تستهوينا ان لم يكن هو متمرسا بالكتابة وبالاساليب ، متمكنا من الترسل وامتلاك ناصية البيان ، الى المستوى الذى يرضى عنه وجه اللغة ؟

ولكم يعانى هذا الكاتب المعرب من مشقة وطول تجريب ، قبـــل أن يصل الى تحقيق بغيته فى نقل النصوص التى يقرر أن يخرجها الى النور ، حتى لو ساعفه الطبع والموهبة ، لان هذه المهمة ليست ارادة مطلقة وليست موهبة مجردة ، بل هى الى جانب الملكة صنعة لا تتقن الا بالتدريب والتجريب ٠ ولن يصل مثل هذا الانسان الى ذروة الاتقان الا اذا بلغ عدوا آخر المطاف فى حلبة السباق ، وكالجواد أيضا لا يكون فى أحسن حالاته الا وهو منطلق بأقصى جهده ومندفع الى نهاية الشوط ومتمرن بلا انقطاع ٠٠ وهذه هى حال المعرب المقتدر ٠٠ حتى اذا تراخى أوتوقف دب اليه الوهن ٠٠ وصدق الشـــاعر حين قال : « جواد ، أضر بجســـمه طول الجمام » ٠

السيف أيضا يعلوه الصـــدأ اذا لم يجـربه صاحبه فى الجســوم واللحوم ، والسكين أيضا تثلم اذا لم تشحذ وتصقل عند اللزوم ٠

وقلبى مع كل زميل كريم من الادباء المعربين والمترجمين ، لانهم مطالبون دائما بأن يداوموا على تطويع أقلامهم والانة عضلاتهم وشـحذ أذهانهم فى محضر من النصوص والكتابات النفيسة ، مع ما فى هذا العمل من رهق ومشقة ، وان كان تعبهم لا يذهب هباء ، ومن يطلب الحسناء لم يغله المهر ٠

واذا كانت هذه هى خصائص المعرب وهذه هى واجباته ، فهل أزعم لنفسى أن أكون ندا فى هذا المضمار وأنا امرؤ قليل الحيلة مشتت الذهن بالشواغل ومتاعب العمل والحياة ؟٠٠

وأين أنا من أناس كرام عظام ساعدهم العلم الرفيع والموهبة الخلاقة على تسنم المستويات العالية بأعمالهم وانتاجهم ، الذى بلغ من الغزارة والاتقان حدا يبهر النفوس ويحملها على الاعجاب والاكبار ٠ والامثلة جد كثيرة ، وأقربها فى بيئتنا أمثال الدكتور سامى الدروبى ، وخيرى حماد ، والمرحـوم وديع البستانى الذى نقل بشعره الى العربية قطاعا ضخما من الملحمة الهندية الكبرى « المهابهاراتا » ، والادباء الذين نقلوا أعمال شكسبير، وملاحم الالياذا، والاوديسى ، وأعمال جبران الموضوعة بالانجليزية ، وجوته ، ولامرتين والمؤلفات الروسية والفرنسية المنوعة٠

وأمثال الدكتور عبد الرحمن بدوى ، والدكتور حسين مؤنس ، والاستاذ على

أدهم ، والشاعر خليل مطران الذى عرب عطيل ومكبث وهاملت لوليم شكسبير ، والاستاذ محمد بدر الدين خليل الذى نذر نفسه على مدى نصف قرن لاعمال التعريب والترجمة يقف جهوده عليها ، ولا يتكسب الا من شق القلم ٠٠ وماأشق هذه الصنعة وهذا القلم !

وغيرهم وغيرهم ٠٠

لماذا اذن أحشر نفسى ولست كفؤا لهم ؟

هل أدافع عن نفسى ؟

اننى ببساطة اقدم القليل الذى أملكه ولا يصح أن أحجبه ٠٠ ان السيد المسيح يوصى من لديه وزنات من المواهب ، ولو قليلة ، بأن يستخدمها ويستثمرها، فربما يفيد الناس منها ، والقالب الواحد فى البناء الشاهق ــ ولو كان واحداً لا يظاهره آخر ــ لا يرفض ، لان هذا البناء لا يقوم الا على عـدد من هذه القوالب ، وأنا محظوظ ولاشك ، فقد أكرمنى الله فوضعنى فى وسـط كنز من العلوم والمعارف وأتاحه لى دون الكثيرين ، ولم يحرم على أن أغترف منه بقدر ما أستطيع ، فهل أكون من العقوق بحيث أحبسها ، ومن الجهل بحيث لا أتفاعل معها ؟

كذلك دفعنى اصـحاب الرأى ، الى زمرة الكاتبين والمؤلفـين والشـاعرين والصحفيين ، وبوأونى من ذلك مناصب رسمية متواضعة أو غير متواضعة ، فهل أخلف ظنهم وأقعد عن العمل وعن الحركة مؤثرا الراحة أو العافية ؟

ثم اننى أحببت أعمالا بعينها وتأثرت بها ٠٠ أحببت ألوانا من القصـة الهندية والادب الهندى ، وأحببت أعمال « تاجـور » الادبية ، ولا يملك أحد من شداة الادبوالمعانى الادبية الانسانية الا أن يحبها ، فهل أتقاعس وأدع التهيب يسيطر على بعد ما رأيت أعلامنا وروادنا يفتحون الطرق ويقتحمون الحصون ، ويقدمون باقتدار نتاج جهدهم وعملهم ؟

ان الحب هو الذى يحملنى على هذه المشاركة ، وهذه المسابقة ٠٠ الحب للعمل الذى أزاوله ، والحب يحمل صاحبه على ركوب المركب الصعب ٠

والاخلاص للفكـرة التى أومن بها يتطلب منى أن أنهض بواجبى ، وأن أؤدى عملا يستريح اليه ضميرى الادبى ٠

ان الشعور الذى تملك هؤلاء الاعلام وهم يقدمون أعمالهم المترجمة هو شعور من « يحاول » ومن « يجرب » ٠٠ يحاول أن يقـدم عملا بطريقته ويجرب تأثيره لدى المتلقى ، وهذا هو الشـعور الذى يتملكنى ٠٠ اننى فى كل ما نقلتـه من قصص أو مختارات أدبية كنت فقط أحاول أن أقدم شيئا من خلال طريقتى وأسلوبى، ان كان لى أسلوب ٠٠ أجل ، ان الاسلوب يختلف ، والذوق يختلف ، ومذاق نص بعينه عند القارىء يختلف تبعا لاسلوب صاحبه ، ومن أجل هذا تعددت الترجمات فى كثير من الآثار الادبيـة المشهورة ، فكم من مرة ترجمت رباعيات الخيام ، وروايات شكسبير ، واحداها تجمع محمد السباعى ، وأحمد رامى ، والبستانى وغيرهم ، وواحدة تجمع خليـل مطران ، ولويس عوض ، وعلى أحمـد باكثير وغيرهم ٠

وأعمال تاجور ونهرو لم تستثن هى الاخرى من هـذا الالتفات ، كتاب نهرو

« لمحات من تاريخ العالم » ترجم كاملا فى لبنان على أيدى جماعــة من الاساتذة الجامعيين ، وترجم بعضه فى مصر على يد الزميل احمـــد بهاء الدين . وكتب تاجور المشهورة « البيت والعالم » و « ســادهانا » و « الهلال » و «جيتنجالى» و « البستانى » ترجمت فى سوريا ولبنان ومصر ، ورأينا احـــداها بقلم الشاعر محمد طاهر الجبلاوى ، وأخرى بقلم الشاعر بديع حقى ، أو الاديب يوحنا قمير بن «اللقلوق» (بلدة فى جبال لبنان شمالى نهر ابراهيم) .

وكما يقول الوزير الدكتور ثروت عكاشة فى مقدمتــه لهذا الكتاب ، ان أدبنــا مازال فى حاجة الى التزود من أعمال تاجور العظيمة .

وكل من هذه الترجمات تحكمه النكهة أو المذاق .. وكل ثمرة لها من يهواها ، ولا بأس فى ذلك ، فالمجال يتسع للكثيرين . وقد كان من حظى أنى وقعت على هذه النماذج التى أقدمها الآن فى وقت مبكر .. منذ أكثر من خمسة عشر عاما ، ولم يكن لأدباء مصر عهد فى ذلك الوقت بمثل دراما « تشيترا » أو قصة « كابولى والا » أو « شارولاتا » أو « الصخور الجائعة » (كوديتا باشان) وكلها تحولت بعد ذلك الى أعمال سينمائية روائية كاملة واذاعيات .

أخى القارىء ، لقد جعلت كل همى وأنا أجرؤ على نقل هذه الالوان أن أتوخى سلوك نهجين لا أحيد عنهما : أن أصور الاصل بأمانة تجعل الصورة أقرب ماتكون الى أصلها ، وأن أجعل الاسلوب واللغة بحيث ينسيانك أنك تقرأ شيئا غريبا ملفقا ومرتقا ، وبغير هذين الاعتبارين لا أكون بكل ما بذلت قد وصلت الى شىء .

فهل أفلحت ؟

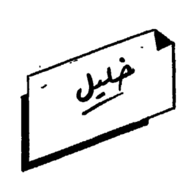
بقى أن أختم بكلمات قليلة كان الاحجى أن تملأ صفحات كثيرة ..

بقى أن أقدم الشكر الاوفر الى الجهة التى عاونت ماديا على نشر هذا الكتاب على هذا النطاق الواسع وعلى هذه الصورة المشرفة .

والى أستاذنا الدكتور ثروت عكاشة الذى بدت أريحته وتقديره لهذا العمـــل الادبى فى مقدمته للكتاب ، وفى تشجيعه لصاحبه على تقديم المزيد .

والى القارىء الذى عايشته ما يقـــرب من عشرين عاما ، وعرفت فيه تقديره للعمل المجيد ، واقباله على كل ما هو أصيل ، وجميل ، وجاد . حمدا لله .

المعرب



أقاصيص من الهند ١٩٥٩

قصص عصرية من الهند مارس ١٩٧٠

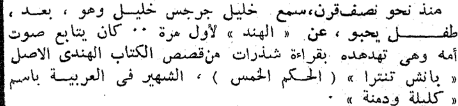
مسرحية تشيترا وقصص أخرى
لشاعر الهند رابندرانات تاجور، أغسطس ١٩٧٠

أيام عشناها (ديوان شعر) ١٩٥٨

محفليات العهد الجديد (ديوان شعر) ١٩٥٨

الصيدح (من شعر الصبا) ١٩٣٩

كلمة عن المعرب



بقلم : شرى خوشى ل. بنجابى
المستشار الهندى للعلاقات الثقافية

منذ نحو نصف قرن، سمع خليل جرجس خليل وهو ، بعد ، طفل يحبو ، عن « الهند » لأول مرة .. كان يتابع صوت أمه وهى تهدهده بقراءة شذرات من قصص الكتاب الهندى الاصل « بانش تنترا » (الحكم الخمس) ، الشهير فى العربية باسم « كليلة ودمنة » .

ومن ذلك الوقت ، تطلع ذهن الصبى الى تلك البلاد البعيدة بما يكتنفها من غموض وأساطير وأخيلة ، وجعل همه أن يقرأ كل ما تصل اليه يده من كتب ، ويتحدث الى الافراد والاصدقاء الذين لهم معرفة بالهند أو الذين عادوا منها ، ليزودوه أكثر فأكثر بما لديهم من معلومات عن تلك البلاد الواسعة العجيبة .

ومنذ نحو عشرين سنة تدعمت الصلات بين الهند ومصر ، واقتربت الهند من هذه المنطقة أكثر من ذى قبل ، واختير « خليل » لمنصب فى المجلة الثقافية « صوت الشرق » التى تصدر بالعربية وتحمل مشعل الثقافة الهندية والعربية فى اطار واحد ، ومن يومئذ وهو يعمل ويدأب فى هذا الحقل الجديد ، حتى أصبح اليوم هو المحرر المسئول عن صوت الشرق ، التى ساعد بجهوده على أن يجعل منها مجلة مشهورة ، لا فى مصر فقط بل فى أقطار أخرى كثيرة من العالم العربى .

وهو شاعر معروف لدى قومه العرب ، فى الجمهورية العربية وفى عدد من الدول العربية كذلك . وهوايته المفضلة مع ذلك هى أن يكون فى مطالعاته كما نقول « دودة كتب » ، فهو شغوف بالقراءة لا يمل منها فى أى وقت . وهذا يعنى أنه قارىء من الطراز الاول ، وأنه لابد أن يكون قد قرأ عددا وافرا من الكتب . وكان من بين هذه الكتب ، بعض مؤلفات شاعر الهند العظيم « رابندرانات تاجور » ، ومنها قصصه وتمثيلياته التى تأثرت بها نزعة خليل الشاعرية وميوله ، فشرع يترجم هذه الالوان الى العربية بأسلوب أدبى يقربنا الى لغة تاجور الرفافة فى أصولها .

وأحسب أن مطبوعات « صوت الشرق » تحس بالفخر وهى تقدم هذا الكتاب الجديد الى عشاق القراءة الادبية فى مصر وفى سائر البلاد العربية ، كمحاولة جادة لتقريب خير ما فى الادب الهندى الى القارىء ، منقولا الى لغته العربية بأسلوب قوى ونسق شاعرى ، وان لغة تاجور وتعريب خليل هما الهدية التى يقدمانها الى كل الاصدقاء الذين يؤثرون الادب الرفيع الجيد ، هذا الاسهام على أمل أن الوجه المشرق الجميل من الحياة الهندية سيحقق تعارفا وتفاهما أكثر لدى الشعب الصديق والامة العربية كلها .



لوحة تذكارية
نصبت أثناء
الاحتفال بالذكرى
المئوية لشاعر
الهند تاجور
في فندق
النيل هيلتون
بالقاهرة
سنة ١٩٦١

Our poet **Khalil Guirguis Khalil** is here trying to introduce a number of Tagore's short stories and plays, skilfully and accurately translated into Arabic. Poet Khalil has successfully selected some of Tagore's literary works so as to enable Arab Readers to get acquainted with the philosophy of this Indian savant, and which is still lacking in our literature.

As a matter of fact, Tagore is one of the savants who were able to express Human Sentiments to which others might still have to give more attention. He was characterised by this human attitude, and consequently was able to explain the unique aspects of human life.

This, however, does not mean that Tagore concentrated on Realities only, but he also possessed vast imagination for explaining the technical side of literature in such a way as had never been tried before.

We really hail the efforts made by Poet **Khalil Guirguis Khalil** for introducing to Arab readers these works of Tagore. We also appreciate his strenuous exertion for his translations in an interesting, literary and easy style which attracts the attention of readers who unconsciously begin to feel Tagore's deep human feelings which are the hall-mark of the first class and active savant.

Poet Khalil has been one of our prominent poets for several years and he is known for his constant efforts to add to Arabic library the landmarks of Indian Literature and Culture.

◎❖◎

Poet Khalil is also a member of the Poetry Committee, with sensitive feelings enabling him to understand Rabindranath Tagore and feel the delicate touches of his words. Khalil has been able to convey those sentiments in a language expressing Tagore's originality in a way relevant to the position of Tagore not only in Indian Literature but also in World Literature as a whole.

We really appreciate the good efforts of the Translator and we do hope that he will proceed to give us more and more of these literary works which are still unknown to us.

Cairo : July, 1970

FOREWORD
by
Dr. THARWAT OKASHA
UAR Minister of Culture

Tagore, India's prominent Poet and Philosopher, is a landmark in Indian Literature. His reputation has spread all over the world and has attracted the attention of all peoples, leaving on their minds and hearts an impression which could not be removed, but on the other hand it will last for ever.



Tagore's literary and poetic works are characterised by high grade of eminence with deep meanings expressed in the best versed language, appealing to all tastes and creating various echoes of joy and sorrow at the same time. For this, Tagore's influence is not only admired by his country-men, but it has in fact gone far beyond India's frontiers and its regional boundaries. His name has a strong echo all over the world and is admired by all peoples far and near for the originality and greatness of his works.

Rabindranath Tagore was born in Calcutta in 1861, and lived for 80 years during which he wrote valuable collections of poems as : **Gitanjali** (Song Offerings), **Sandhya Sangit** (Evening Songs), **Prabhat Sangit** (Morning Songs) and **Ghabi O Gan** (Paintings and Lyrics), representing first class poetry and characterised by true spiritualism, professional sincerity and deep Nationalism. For such significant works, Tagore was awarded the Nobel Prize in 1913.

The Arabic Language has known some of the works of this Great Poet through translations published in some countries of the Middle East. Many translations have tried to analyse his works, and consequently, Tagore's name has come nearer to the hearts of the masses who have cherished and adored his literary and thoughtful works.

CAPTIONS TO ILLUSTRATIONS

CHITRA & OTHER STORIES BY TAGORE

CONTENTS



هذا الكتاب

« تاجور » شاعر فيلسوف من أعلام الادب الهندى ، ملا الدنيا وشغل الناس ، وترك فى كل الاسماع والقلوب أثرا لا يمحى ولا يزول . فانتاجه الادبى والشعرى بلغ درجة عالية من السمو ، وارتفعت نبرته من المعانى والافكار ، وازدان بأجمل التعبيرات واحلى البيان ، حتى لم يدع قلبا الا نفذ اليه ، ولم يلق وجدانا دون أن يخلف فيه بقية من رنينه وأنينه معا . ولهذا لم يقتصر أثره على أبناء الهند ، ولم ينل اعجاب مواطنيه فحسب ، وانما تخطى حدود بلاده وخرج على الاقليمية المحدودة ، وحقق دويا هائلا لاسمه فى كافة بقاع العالم ، حتى حظى باعجاب الجميع ، وحاز شهادة القاصى والدانى ، بما بلغه فنه الشعرى من أصالة وروعة .

وانا لنشيد بهذا الجهد الذى بذله الاستاذ خليل فى تعريف القراء العرب بهذه الاعمال القصصية لتاجور ، ونمتدح جهده الموفق فى تقديمها بالاسلوب الادبى الممتع ، والعبارة الجميلة السلسة التى تجتذب القراء ، وتدفعهم الى الاقبال على أدب هذا الاديب العالمى والمشاركة فى أحاسيسه ...

ثروت عكاشة

(من مقدمته للكتاب)

الثمن ١٠ قروش